المرحلة الثانية

التكرير في الصوت

اللغة العربية من اللغات الحية، فهي تنمو وتتطور كالكائن الحي، ولها سبلها ووسائلها في الإثراء والخلق والابداع. كما أنها تعرف بانسيابية الفاظها وجماليتها في التعبير، ولذلك توصف بأنها لغة موسيقية.

هناك صلة ما بين الألفاظ ودلالاتها في اللغة العربية، وتتجلى في طائفة من الألفاظ اللغوية التي وردت في القرآن الكريم الذي يعد المثل الأعلى للبيان العربي، كما أنه كتاب العربية الأكبر ،ومن ذلك ظاهرة تكرير الصوت في الفعل الرباعي المضعف مثل: زلزل ودمدم وزحزح وصرصر وكبكب وما إليها، إذ يتكرر الصوت الأول والثاني، فيصبح الصوت الأول والثالث، والثاني والرابع من جنس واحد. وقد يكون تكرير الصوت عن طريق مضاعفة الصوت الثاني كما في غلّق وقطّع وما شاكلهما.

وعمدت اللغة إلى زيادة الدلالة عن طريق أسلوب آخر، هو زيادة الأصوات في بنية الكلمة، فلكما كان المبنى في المفردات كثيرا زادت دلالاتها، لأن الزيادة في المبنى يتبعها زيادة في المعنى، مثل: اكتسب، واثاقلتم وغيرهما من الألفاظ.

أ) التكرير في الفعل الرباعي المضعف:

من المظاهر اللغوية التكرير في الأصوات اللغوية، فمن المعلوم ان اللغة العربية ترجع في أصولها إلى البناء الثلاثي في الغالب، وهناك طائفة من الألفاظ ثنائية التركيب، وحين نجد تركيبا رباعيا أو خماسيا فإنما الأصل فيه الثلاثي، وسنعرض مجموعة من الألفاظ التي وردت في الاستعمال القرآني لنتعرف على كيفية التناسب بين تكرير الصوت وتكرير الدلالة فيها وهـذه المجموعة: يتكرر فيها الصوت الأول مع الثالث، والثاني مع الرابع:

1. حصحص

الأصل في هذه المادة (حصص) ومعناه وضح وانكشف، قال الزجاج اشتقاقه في اللغة من الحصة، أي تبينت حصة الحق من حصة الباطل، عندما نقول حصحص الحق. وتأتي الحصحصة بمعنى المبالغة، يقال: حصحص الرجل إذا بالغ في أمره وهذه المبالغة هي نتيجة لزيادة صوت الحاء فأصبح بناء الكلمة رباعيا بعد أن كان ثلاثيا.

وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم مرة واحدة في قصة يوسف [ع]، على لسان امرأة العزيز، قال تعالى: (قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) (يوسف: 51). فمعنى حصحص هو ظهور الحق وانكشافه وتمكنه في القلوب والنفوس، كما يقال حصحص البعير واستقر في الأرض.

2. دمدم

تأتي الدمدمة في اللغة لعدة معان، إذ يقال لصوت الهرة دمدمة، ويقال دمدم فلان في كلامه إذا أخرج صوتا غير مفهوم. ويقال ناقة مدمدمة إذا ألبسها الشحم، فإذا كررت الاطباق قلت دمدمت عليه0

وجاءت مادة دمدم في موضع واحد من القرآن الكريم، قال تعالى: (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا) (الشمس: 14).

ومعنى دمدم أن العذاب قد أطبق عليهم وعمهم من جميع الجوانب، كما يقال للشيء السمين، كأنما دم بالشحم دما، إذ جعل الزجاج دمدم من هذا المعنى على التضعيف كما في كبكبوا وغيرها0

3. رفرف

يأتي الرفرف في اللغة معنى الحركة، إذ يقال: رفرف الطائر إذا حرك جناحيه، وهو لايبرح مكانه، ويأتي بمعنى البساط، فيقال فرشوا لنا رفرفا، وهو ضرب من البسط الخضر وقد يأتي الرفرف بمعنى المنتشر من الأوراق.

وردت كلمة رفرف في القرآن الكريم في موضع واحد منه في وصف حال المؤمنين وما يجدونه من نعيم فيها، قال تعالى: (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) (الرحمن: 76).

والرفرف: اسم جنس يأتي بمعنى الجمع ومفرده رفرفة، والمعنى أنهم متكئون على بسط تشبه الرياض. وإذا كانت الرفرفة مأخوذة من الحركة، فهذا يعني أنهم على تلك البسط المرفوعة التي ورد ذكرها في موضع آخر من القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) (الواقعة: 34) فالتكرير في الصوت يتبعه تكرير في دلالة المادة، كما هي الحال في حركة البساط أو أجنحة الطائر.

4. زحزح

الزحزحة في اللغة هي التنحية والدفع عن الموضع. قال ذو الرمة:

يا قابض الروح عن جسم عصى زمنا وغافر الذنب زحزحني عن النار

وبهذا المعنى جاء في الحديث الشريف أنه: (من صام يوما في سبيل الله زحزحه الله عن النار سبعين خريفا) وردت هذه المادة في موضعين من القرآن الكريم؛ إذ جاءت بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول في قوله تعالى: (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (آل عمران: 185). ففي الزحزحة تكرير للزح الذي يعني الجذب بعجلة، فمن تخلص من العذاب ووصل إلى الثواب فقد فاز بالمقصد الأقصى والغاية التي لا مطلوب بعدها وجاء في الحديث أن الرسول [ص] قال: (من أحب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليؤت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه) وكذلك وردت هذه المادة في القرآن الكريم بصيغة الزحزحة. قال تعالى: (وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) (البقرة: 96). قال القاضي: المراد أنه لا يؤثر في إزالة العذاب أقل تأثير، ولو قال تعالى: وما هو بمبعده وبمنجيه لم يدل على قلة التأثير كدلالة هذا القول ففي الزحزحة معنى أبلغ من الزح، فالقرآن الكريم يختار اللفظ المناسب في الموضع المناسب.

5. زلزل

تأتي هذه المادة (زل) في اللغة بمعنى الحركة المعتادة، والزلة في الأصل: استرسال الرجل من غير قصد، يقال: زلت رِجلٌ، تزل والزلة: المكان الزلق، وقيل للذنب من غير قصد زلة تشبيها بزلة الرجل. والتزلزل يأتي بمعنى الاضطراب، إذ أن تكرير حروف

لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلل فيه وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم بصيغة الفعل المبني للمجهول، كما وردت بصيغة المصدر في سورة الزلزلة، قال تعالى: (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) (الزلزلة: 1) فالزلزال بالكسر المصدر، والزلزال بالفتح الاسم، والمعنى أن الأرض حركت حركة شديدة، وفي ذلك تصوير ليوم القيامة.

وتأتي الزلزلة بمعنى الحركة، أي انك كررت تلك الإزالة، فضوعف لفظه بمضاعفة معناه وكل ما كان فيه تكرير كررت فاء الفعل وعينه.

وجاءت هذه الكلمة بهذه الصيغة للتعبير عن هذه الحركة غير الاعتيادية، فهي أبلغ وأقوى في ذهن السامع، ومن أجل شدة هذه الحركة وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها شيء عظيم في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) (الحج: 1).

6. صرصر

الأصل في هذه المادة يرجع إلى الصر والصرة وهي شدة البرد. وصرصر تكرر فيها صوت الصاد والراء، وبهذه الصيغة وردت في القرآن الكريم وصفا للريح، قال تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) (الحاقة: 6ويأتي الصرصر بمعنى الصوت أيضا، قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر ولما كانت الريح الشديدة يكون لها صوت؛ لذا وصفت بالصرصر تشبيها لها بصوت البازي. وقد يكون معنى الصرصر: الشديدة البرودة، مثل الألفاظ الأخرى التي كررت فيها فاء الكلمة وعينها، فكأن البرد قد كرر فيها وكثر فهي تحرق بشدة بردها. وجاءت هذه الكلمة لتعبر عن الحالة أبلغ تعبير؛ إذ لا يمكن أن يسد غيرها مسدها بهذه الدلالة الصوتية الخاصة، لما تحمله من وقع تصطك له الاسنان ويشتد فيه اللسان، بجرس أصواتها الذي يضفي صورة الرهبة والفزع0

7. عسعس

ذكــر أهــل اللغــة أن عســعس مــن الأضــداد. يقــال: عســعس الليــل إذا أقبــل بظلامه، وعسعس إذا أدبر، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد هو

ابتداء الظلام في أوله أو إدباره في آخره ومما جاء بمعنى أقبل قول الشاعر:مدّرعات الليل لما عسعسا ووردت كلمة عسعس بمعنى الإدبار في قول العجاج: حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقد وردت هذه المادة في موضع واحد من القرآن الكريم وصفا لليل. قال تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) (التكوير: 17) فالعسعسة: هي رقة الظلام في طرفي الليل، فاقسم الخالق سبحانه وتعالى بإقبال الليل إذا عسعس وبإدباره أيضا/ وفي كل لفظ من هذا النوع فيه تكرير للصوت فإن الدلالة فيه تتكرر أيضا للزيادة في المعنى وإظهاره.

8. كبكب

معنى الكبكبة في اللغة هو تدهور الشيء إذا القي في هوة حتى يستقر فيها، فكأنه تردد في الكب ويرجع ذلك إلى تكرير الانكباب كأنه إذا القي ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر ووردت هذه المادة في القرآن الكريم بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول. قال تعالى: (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ) (الشعراء: 94). تتحدث الآية عن المشركين الذين اتخذوا من دون الله آلهة، فيوم القيامة تكبكب الآلهة ومن يعبدونها في نار جهنم. وحقيقة الكبكبة هي تكرير الكب، وجعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى، فجاء التعبير القرآني بهذه الصيغة، لأنها أبلغ من (كبوا) للإشارة إلى أنهم يكبون كبا عنيفا فظيعا.

9. وسوس

الأصل في هذه المادة هو دلالتها على الصوت، وهو مأخوذ من صوت الحلي. قال الأعشى:

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجلُ ويقال لهمس الصائد وسواس أيضا، ومن ثم أطلق الوسواس على كل شيء خفي كالحظيرة الرديئة وما يوحي به الشيطان ، يقال وسوس إليه الشيطان، ووسوس الرجل، قال الشعر: وسوس يدعو مخلصا رب الفلق ووردت هذه المادة في القرآن الكريم ست مرات، يراد بها وسوسة الشيطان، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ

النَّاسِ) (الناس: 4-5) فجاءت بصيغة (الوسواس) الذي هو اسم للشيطان، والوسواس بالكسر هو حديث النفس وخطرات الشيطان. كما جاءت بصيغة الفعل المضارع (يوسوس)، قال أبو عبيدة: الوسوسة في القرآن الكريم: هي ما يلقيه الشيطان في القلب وأطلق (الوسواس) على الشيطان، الذي هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، سمي بذلك إيغالا في المبالغة في التعبير عنه، وكأنه وسوسة في نفسه؛ لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه والمراد به ذو الوسواس وإن هذه الظاهرة في اللغة العربية، أعني التكرير في بنية الكلمة، قد استحسنها قسم من علماء اللغة، يقول ابن جني: "إن هذا موضع شريف لطيف، قد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته". وعن حالة التكرير في الكلمات السابقة، يقول ابن جني في موضع آخر: اجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر، فكلما ازدادت العبارة شبها بالمعنى كانت أدل عليه0

ب) التكرير في عين الفعل الرباعي

هناك صورة أخرى من صور التكرير، هي تكرير العين في الفعل الرباعي؛ إذ جعلوا تكرير الصوت دليلا على تكرير الفعل، فالأصوات تابعة للمعاني فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت ضعفت، ومن ذلك قولهم: قطع وقطع، وكسر وكسر، زادوا في الصوت لزيادة المعنى، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه.

1. غلق

تأتي صيغة (فعّلت) في اللغة بمعنى التكثير في الفعل، مثل قولهم: قتّلت القوم وفرّقت جمعهم، وغلّقت الابواب، ولكن ذلك لا يكون على الاطلاق؛ إذ تأتي هذه الصيغة أحيانا ولا يراد بها التكثير، كما في قولهم: كلّمته وسويته وعلّمته وحيّيته وغذّيته وعشّيته وصبّت المنزل وردت كلمة غلّق في القرآن الكريم في قصة يوسف [ع]. قال تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ) (يوسف: 23). إذ عدل التعبير القرآني عن صيغة (غلق) إلى (غلّق) لغرض بلاغي، قال الراغب: "أغلقت الباب أو غلّقته على التكثير، وذلك إذا أغلقت أبوابا كثيرة أو أغلقت بابا واحدا مرارا أو

أحكمت إغلاق باب" والأصل في هذا مأخوذ من قولهم في كل شيء تشبث في شيء فلزمه قد غلّق يقال: غلق في الباطل وغلق في غضبه، ومنه غلق في الرهن، ثم يعدى بالألف فيقال: أغلق الباب إذا جعله بحيث يعسر فتحه. وجاء غلّقت على التكثير لأنها غلقت سبعة أبواب، ثم دعته إلى نفسها.

2. قطّع

مادة (ق ط ع) تدل على صرم وإبانة شيء من شيء. يقال: قطعت الشيء أو أقطعه قطعا، إذا فصلته ومنه ما كان مدركا بالبصر كالأجسام أو مدركا بالبصيرة كالأشياء المعقولة، ومن ذلك قطع الأعضاء نحو قوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) (يوسف: 31).

فكانت المرأة من شدة دهشتها وحيرتها تقطع يدها، وهي تظن أنها تقطع الفاكهة. جاء في اللسان وصفا لتلك الحالة: "قطعن أيديهن قطعا بعد قطع وخدشتها خدشا كثيرا، ولذلك شدد".

إن الزيادة الحاصلة في هذه الكلمات عن طريق التضعيف، وجدت لزيادة المعنى، وقد اكتفينا بمثالين للاستشهاد بهما على ذلك، وهذه الحالة في اللغة واسعة وكبيرة يقول عنها ابن جني: "زادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه، وكأن أصل هذا إنما هو لتضعيف العين في نحو المثال: قطّع وكسّر وبابهما، وإنما جعلنا هذا هو الأصل، لأنه مطرد في بابه أشد من اطراد باب الصفة".

وعن دلالة هذه الصيغة (فعّل) في القرآن الكريم يقول أبو حيان: "إنها تدل على التكرير والتكثير، كما تدل على منتهى التفضيل إذ أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى" ، فجعلوا تكرير العين دالا على تكرير الفعل، نحو فرّح وكسّر فجعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى.

الجرس الصوتي – دراسة جمالية في ألفاظ غريب القرآن

المقدمة

من خواص اللغة الفطرية (الجرس الصوتي)، ويقصد به ((نوع من الموسيقى يوحي إلى الأذهان بمعنى فوق المعنى الذي تدل عليه الألفاظ))[1]، أو هو ((أن يأتي مسموع الأصوات على حذو محسوس الأحداث))[2] واللغة العربية من اللغات التي تتماز بهذه الخاصية، ومن أوائل الذين تنبهوا اليها من القدماء ابن جني(393هـ)، في قوله: ((كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سَمْتِ الأحداث المعبرَّ بها عنها فيعدلونها بها ويحتذُونها عليها))[3]، وقال في موضع آخر: ((فإن كثيراً من هذه اللغة وجدْته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها ألا تراهم قالوا قِضم في اليابس وخِضم في الرّطْب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف))[4].

ولما كانت اللغة بشكلها الإجمالي أصواتا تستخدم للتعبير عن الحاجات والأغراض عند الناطقين بها فإن هذه الحاجات والأغراض مرهونة بلا شك بالانفعالات النفسية عندهم من حزن أو فرح أو غضب أو أي لون من ألوان التأثر، وإن مثل هذه الانفعالات قد تؤدي ((بالباعث الصوتي على توليد الكلمات أو الأصوات إلى ما يكاد يكون اعتقادا غامضا في وجود مطابقة خفية بين الصوت والمعنى))[5]. وربما يكمن سر جمالية الجرس في هذه المطابقة الخفية إذ إنه يعد ((قيمة حسية في الألفاظ، فهو شديد الخفاء، ولكنه أسرع نواحي الجمال في الشعر إلى نفوسنا))[6].

وإذا ما حاولنا التماس (الجرس) أو الدلالة الصوتية في ألفاظ القران الكريم وقفنا على حقيقة راسخة وهي إن القرآن الكريم قد ناسب بين أصوات ألفاظه، ومعانيها مناسبة عجيبة لفتت الأنظار، وأذهلت العقول حتى كأن اللفظة القرآنية ((تكاد تستقل – بجرسها ونغمها – بتصوير لوحة فيها اللون زاهيا أو شاحبا وفيها الظل شفيفا أو كثيفا))[7]. اذ وظف المبدع – جل وعلا– ((الجرس الموسيقي للكلمة وما تحويه من ظلال للمعاني في إثراء معنى الكلمة، والايحاء بمضمونها قبل ان يوحي مدلولها اللغوي به))[8]

ولعل ألفاظ غريب القرآن الكريم خاصة كانت ميزاناً رحبا لمن أراد ان يقف على الدلالة الصوتية للألفاظ، ومن خلال العودة إلى المباحث التي كتبها الدارسون القدماء والمحدثون في هذا المجال وجدت أن جل امثلتهم إن لم تكن جميعها كانت من ألفاظ غريب القران، ما يعطي تصوراً إن العلماء الذين كتبوا في الغريب كانت الدلالة الصوتية بما تبعثه من إشعاع جمالي من معاييرهم التي اعتمدوها في تصنيف الألفاظ الغريبة.

ومن اجل ذلك كله سوف أقف على نماذج مختارة من تلك الألفاظ ومناقشتها مناقشة تحليلية معتمدة آراء الدارسين فيها.

أولا: جرس الإدغام:

1– اثّاقلتم[9]: قال تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض)** (التوبة / الآية 38).

جاءت هذه الآية في خطاب للمؤمنين والمنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك على وجه العتاب لتباطئهم في إجابة الدعوة إلى الجهاد[10]. وربما جاء التعبير في قوله (اثاقلتم) على هذه الصيغة تحديدا من أجل المبالغة في تصوير التباطؤ والتقاعس عند هؤلاء النفر، وكذلك لما تؤديه هذه اللفظة من صورة معبرة عن الحال التي هم فيها، ((إذ يتصور الخيال ذلك الجسم المتثاقل يرفعه الرافعون في جهد فيسقط من أيديهم في ثقل))[11].

واثاقلتم في الأصل (تثاقلتم)، ((فإذا وصلتها العرب بكلام، ادغموا التاء في الثاء لأنها مناسبة لها، ويحدثون الفا لم يكن ليبنوا الحرف على الإدغام في الابتداء والوصل، وكان إحداثهم الألف ليقع بها الابتداء ولو حذفت لأظهروا التاء لأنها مبتدأة))[12]. والحقيقة

(1) التوجيه الأدبي د. طه حسين وآخرون 137.
(2) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، د. محمد زكي شادي 28 .
(3) الخصائص، ابن جني 2 / 159.
(4) الخصائص 1 / 66.
(5) دور الكلمة في اللغة، ستفن اولمان 81.
(6) جرس الالفاظ د. ماهر مهدي هلال 20.
(7) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح 334.
(8) لغة القران – دراسة توثيقية فنية – د. احمد مختار عمر 141
(9) ينظر: تفسير غريب القرآن المجيد، للإمام زيد بن علي (ع) 108، وتفسير غريب القرآن، لابن قتيبة 140، وتفسير غريب القرآن، لابن الملقن 135.
(10) ينظر: البحر المحيط، لابي حيان 43/5
(11) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب 91.
(12) معاني القران، للفراء 1 / 437.

إن جرس هذه اللفظة بما تحمله من ثقل في النطق جعلها تكون أكثر ملاءمة لمعنى النص فهي ((تعبر عن نفس مثقلة بحب الحياة، رضيت بالدنيا بديلا عن الآخرة، وتصور ظلال هذا المشهد الحي، وقد ألصقت بالأرض، وتثاقلت عليها بمقدار ما تحمله الأرض من أثقال))[1]. والذي يبدو أن ما أسهم في إظهار هذا المعنى في هذه اللفظة المفردة هو التشديد على الثاء ((فإذا علمنا أن للتشديد عنصرين أولهما ثاء ساكنة والثاني ثاء متحركة... أحسسنا للسكون الذي في العنصر الأول إيحاء بالإخلاد إلى الأرض وعدم الرغبة في الخروج إلى للجهاد، مما يدل على أن الصوت يحكي الفعل أو على الأصح عدم الفعل))[2] وكذلك فإن النطق بالثاء يلتصق طرف اللسان بالثنايا العليا، ولما تكرر الصوت نفسه على التوالي صار الالتصاق أشد مما لو كان غير مكرر، وهذا بدوره يوحي بشدة تقاعسهم وخلدهم إلى الأرض كما أن المقطع الصوتي الأخير من اللفظة نفسها (تم) قد أسهم هو الآخر في تخيل الصورة فأنت حتى تسمع هذا المقطع يتبادر إلى ذهنك وكأن شيئا ثقيلا قد وقع على الأرض فأحدث هذا الصوت، كما ان صوت المد الذي جاء في وسطها جاء ليصور ((أن هذا التثاقل لا يتحرك ولا يمتد إلا في مكانه))[3]، إذ إن البنية المقطعية لها هي (إثْ ثّا قلْ تم) جاءت لتشعر بالثقل في أولها ثم جاء صوت المد ليعطيها شيئا من الحركة والخفة وكأنما هو دعوة للنهوض، إلا إن هذا لم يدم طويلا فسرعان ما تعود إلى الثقل نفسه في المقطعين الأخيرين، ومن ثم فإن الثقل يطبع هذه الكلمة الأمر الذي دعا سيد قطب الى أن يرى ((أن في هذه الكلمة طنا على الأقل من الأثقال ! ولو أنك قلت: تثاقلتم، لخف الجرس ولضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ واستقل برسمها))[4].

وبذا تكون قد تضافرت أصوات هذه المفردة على رسم مشهد أولئك الذين خصتهم الآية المباركة رسما دقيقا حتى كأننا نراهم رأي العين، وقد أسهم ثقل الصيغة في الوصول إلى الإيحاء بالمعنى المطلوب فضلا على إنه منح النص إيقاعاً عذبا في موضعه جذب الانتباه وشد المتلقي إليه بما يحمله من طاقة جمالية وقدرة على التأثير.

2- ادّارأتم[5]:

ومن ألفاظ الغريب التي جاءت على هذه الصيغة (ادّارءتم) في قوله تعالى: ﴿وإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّرَأْتُمْ فِيهَا واللَّهُ مخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة / الآية 72). فقال: (ادارأتم) والأصل (تدارأتم) والمعنى ((اختلفتم واختصمتم فيها))[6]، ولو تأملنا اللفظ وحاولنا التماس الدلالة الصوتية فيه وما أثاره الإدغام من إيحاء بالمعنى المطلوب وقفنا على صورة معبرة لا تختلف كثيراً عما مر بنا في (اثاقلتم) إلا من جهة المعنى. فالمعنى في (ادارأتم) يبعث في الذهن صورة مَن خصتهم الآية الكريمة وهم في حالة شديدة من الاختصام والاختلاف، وهذه الشدة في الحال جاءت لتحاكي شدة الفعل وهو القتل، فلو جاء التعبير بقوله (تدارأتم) لكانت الدلالة الإيحائية أقل شدةً، ومن ثم لا يكون هنا معادل لشدة الفعل وعليه فإن الادغام جاء استجابة للمعنى والموسيقى، إذ إنه أفاض على النص بشحنة موسيقية صاخبة منسجمة مع سياق القوة والعنف والتهديد الذي جاء به النص الكريم.

3- ادّاركوا[7]:

قال تعالى: (كلَّمَا دَخَلَت أُمَّةٌ لَّعَنَت أُخْتهَا حَتى إِذَا ادَّارَكوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَت أُخْرَاهُمْ لأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضلُّونَا فَئَاتهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكلّ ضِعْفٌ ولَكِن لا تَعْلَمُونَ) (الأعراف / الآية 38). فقال: (اداركوا) والأصل تداركوا، والمعنى تلاحقوا[8]، أما وظيفة الإدغام – هنا – فقد تمثلت في اعطاء دلالة الفعل سرعة في الحركة، فكما هو معلوم لدينا أن الأفعال تدل على الحركة والاستمرار كما أن الأسماء تدل على الثبوت والاستقرار. ولما جاء الفعل على هذه الصيغة المدغمة أعطى تصورا عن الحال التي تلاحقوا فيها فكأنما كان بعضهم إثر بعض على وجه السرعة ولاسيما أن الموقف الذي هم فيه هو موقف حشر وحساب وشدة، فجاءت شدة الادغام لتحاكي شدة الموقف.

4- يطَّوَّف[9]:

(1) دلالات الظاهرة الصوتية في القران الكريم. خالد قاسم بني دومي 238، وينظر: الإعجاز الفني في القرآن. عمر السلامي 105.
(2) البيان في روائع القرآن – دراسة لغوية اسلوبية في للنص القراني – د. تمام حسان 287.
(3) دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم 239.
(4) التصوير الفني 91.
(5) ينظر: غريب زيد 47، وغريب ابن قتيبة 54، ومعجم غريب القرآن، لابن قطلوبغا الحنفي 298، ومعجم غريب القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي 55
(6) تفسير الكشاف، للزمخشري 1 / 143، وينظر: تفسير مفاتح الغيب، للرازي 3 / 132، واللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي2 / 179، والجامع لاحكام القرآن، للقرطبي 2 / 193.
(7) ينظر: غريب زيد 97، وغريب ابن قتيبة 167، ومعجم الحنفي 298، ومعجم عبد الباقي 55
(8) ينظر: اللباب، لابن عادل الدمشقي 9 / 108.
(9) ينظر: غريب ابن قتيبة 66، ونفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه، لابي جعفر الخزرجي 199

قال تعالى: [إِنَّ الصفَا والمَرْوَةَ مِن شعَائرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْت أوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطوَّف بِهِمَا ومَن تَطوَّعَ خَيراً فَإِنَّ اللَّهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ]. (البقرة / الآية 158). فقد قال (يطَّوَّف) والأصل يتطوف وقد ((قلبت التاء طاءً، وأدغمت في الطاء، فاحتيج إلى همزة وصل لسكون أوله لأجل الإدغام فأتى بها فجاء مضارعه عليه (يطَّوَّف) فانحذفت همزة الوصل لتحصن الحرف المدغم بحرف المضارعة، ومصدره (التطوّف) رجوعا إلى أصل (تطوف)))[1]، وتفسير الآية يشير إلى أن المسلمين كانوا يتحرجون من الطواف بين الصفا والمروة، لأن الناس في الجاهلية كانوا يتطوفون بهما عراةً، فجاء النص الكريم ليرفع عنهم الحرج في ذلك.

واذا عدنا إلى المرتكز الصوتي في هذا اللفظ وهو الطاء لوجدنا أنه النظير المفخم للتاء[2]، وهذا يشر إلى أن قلب التاء طاءً كان من جهة المعنى من أجل التفخيم ليناسب شدة الأمر الذي هم فيه، فهم في حال بين الإقبال على الطواف والإدبار عنه.

والحقيقة أن هذا الأسلوب ورد تكرارا في القرآن الكريم، فقد ذهب الدكتور فاضل صالح السامرائي في معرض حديثه عن قوله تعالى (تطيّرنا) في سورة يس / الآية 18، (اطّيرنا) في سورة النمل / الآية 48، إلى أن ((التطير في النمل أشد مما في (يس)، بدليل أنهم قالوا في (يس) ﴿ لئن لم تنتهوا لنرجمنكم ﴾ فهددهم بالرجم والتعذيب. أما في النمل فقد أقسموا وتعاهدوا على قتله وقتل أهله. ومعنى ذلك أن التطير بلغ عندهم درجة أكبر واشد مما في يس، فجاء بما فيه زيادة مبالغة))[3]. وقد أورد أمثلة أخرى كثيرة على هذا.

وما أضفى على قوله تعالى (يطَّوَّف) قوة في الإيحاء ما يتمتع به صوت الطاء من صفات، فقد جمع بين الإطباق والشدة والانفجار، وهذه الصفات كلها تصبُّ في بودقة المعنى واظهاره من خلال أصوات اللفظ.

وبذلك يتجسد لنا ما في الدلالة الصوتية من طاقات إيحائية و جمالية، وقدرات فائقة على التأثير تتجاوز حدود الموسيقى وفنية الأداء لتدخل في روعة التعبير.

5- سيطَّوقون[4]:

قال تعالى: [ولا يحْسبنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضلِهِ هُوَ خَيراً لَّهُم بَلْ هُوَ شرٌّ لَّهُمْ سيُطوَّقُونَ مَا بخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وللَّهِ مِيراث السمَوَاتِ والأَرْضِ واللَّهُ بمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] (آل عمران/ الآية 180).

سيطوقون بمعنى أنهم سيحملون عقاب ما بخلوا به، أي سيجعل الله لهم طوقا من نار يوم القيامة [5]. والحقيقة إن هذا اللفظ كان أكثر ملاءمة لمثل هذا المعنى ((لما فيه جلية على التضييق والحصر والملازمة التي لا مفر منها، عندما يقرأ القارئ هذا اللفظ يبرز صوت الطاء واضحا وجليا فيحس فقوة انطباقه عليه))[6].

كما ان صوت السين الذي جاء في أول اللفظ هو من الأصوات المهموسة التي من إيحاءاتها إثارة الروع في النفوس بما فيه من همس خفي، عمق لدى المتلقي الاحساس بشدة الموقف واقتراب العذاب فهي – كما نقل القرطبي عن المبرد – سين الوعيد أي: سوف يطوقون[7].

ولعل طول هذه اللفظة التي تشكلت من ستة مقاطع صوتية جعلت المتكلم عند نطقها يشعر بضيق نتيجة اندفاع الهواء من الرئتين بشكل متوال مما يشعر بالاختناق وكأن هذا الطوق لف على أعناقهم دون سائر أعضائهم.

فالجمال الفني في هذا اللفظ قام على أساس معايير الانسجام والتلاحم والتناسق بين المعنى والتركيب اللفظي المعبر عنه، وهذه قد انعكست على الجانب النفسي للمتلقي فقد اعطته طاقة تأثيرية جعلته يعيش حالة من التوتر وهو يتخيل صورة ذلك الطوق.

6- يُدَعُّون[8]

قال تعالى: [يَوْمَ يُدَعّونَ إلى نَارِ جَهَنّمَ دَعاً] (الطور / 13).

الدعُّ هو الدفع بالظهر بعنف، و ((ويدعُّون، أي: يُدفَعون دفعاً عنيفاً بجفوة وغلظة من كل مَن يقيمه الله لذلك، ذاهبين ومنتهين إلى نار جهنم، وهي الصبغة التي تلقاهم العبوسة والكراهة والتغيظ والزفير))[9].

(1) اللباب 3 / 97.
(2) ينظر: علم الأصوات كمال بشر 250، و الأصوات العربية بين التحول والثبات د. حسام النعيمي 74.
(3) بلاغة الكلمة في التعبير القرآن، د. فاضل صالح السامرائي 54 .
(4) ينظر: غريب ابن قتيبة 116، والغريبين في القرآن والحديث، للهروي 1187، ومعجم عبد الباقي 127
(5) ينظر:المحرر الوجيز، لابن عطيه 547/1.
(6) اللفظ القرآني بين المفهوم الدلالي والبعد البياني، فاطمة عبد الأمير، (رسالة ماجستير) 73.
(7) ينظر: تفسير القرطبي 438/5.
(8) ينظر: غريب زيد 245، وغريب ابن قتيبة 124، وغريب ابن الملقن 410
(9) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي 10/19.

وقد جاء لفظ الدعّ بجرسه الشديد ليصور الدفع في الظهور في ذلك الموقف الرهيب الذي يقف فيه الكفار أمام هول النار، وطغيانها، فلا تساعدهم أرجلهم على السير رهبةً وفزعاً ((فتدفعهم الزبانية في أعلى ظهورهم مما يوازي صدورهم ومن شأنه ذلك يُسمَع لصدره صوت غير إرادي يتكون من هذا المقطع (إع)، ولهذا كانت هذه الكلمة مصورة للمعنى بجرسها ورنينها))[1]، إذ إن صوت الكلمة وموسيقاها يُسهِم في إظهار جزء من معانيها الدقيقة الخفية وذلك عندما ((يكون بين أصواتها وبين الموضوع ملاءمة بحيث يكون فيها تقليد للشيء الموصوف، أو وحي إلى الخاطر يصعب تحديده لكنه محسوس))[2]، ولعل الملاءمة كانت واضحةً في هذا اللفظ، فالعين من الأصوات الحلقية الرخوة المجهورة التي تمتلك قيمة تعبيرية كبيرة في تصوير مشاعر التوجع والتألم.

كما إن مجيء الفعل مبنيا للمجهول أعطاه شدة وقوة من مجيئه مبنيا للمعلوم، فمتى ما كان الفاعل مجهولاً كان الأمر أشد وطأة على الذي يقع عليه الفعل، لأن في ذلك إشارة إلى قوة خفية أحدثت الفعلَ.

علاوة على ذلك فإن صوت الضمة في أول الفعل يعد من الأصوات الثقيلة، فلو جاء الفعل مبنيا للمعلوم لكان حركة أوله الفتح ولمّا كانت الدال مفتوحة فإنه سيكون توالي لصوت الفتح، وهذا سيعطيه سهولة وخفة، إذ إنه إذا ((توالى حركتان خفيفتان في كلمة واحدة لم تستثقل وبخلاف ذلك الحركات الثقيلة فإنه إذا توالى منها حركتان في كلمة واحدة استثقلت))[3]، وعليه كان لثقل الصوت في الضمة ومن ثم بناء الفعل للمجهول إسهاما في استشعار روح الشدة في (الدعّ). ولعل مجيء المفعول المطلق (دعّاً) زاد ((في تأكيد ما للفظة من قوة في التصوير والنطق والإيحاء))[4].

أما في قوله تعالى: (فَذَلِكَ الذِي يَدُعُّ اليَتِيْمَ) (الماعون / 2) فقد جاء اسم الإشارة (ذلك) في موضع الضمير (هو) ليعطي للفعل قوة في التعبير والإيحاء، ففيه دلالة على التحقير أو الإشعار بعلة الحكم[5]، فلو كان التعبير هنا بالفعل (يزجر أو يدفع) لاستعمل الضمير معهما دون اسم الإشارة.

والحقيقة إن جرس اللفظ ووقع تأليف الأصوات فيه كان من أهم المنبهات المثيرة للانفعال النفسي عند المتلقي ولاسيما في تحفيز مخيلته كي ترسم صورة معبرة عن إحداث الفعل، فجماليته إذن كانت منبعثة من جوانب نفسية أثارها الإيقاع العام للفظ الذي تمثل أولاً: في الموسيقى الناتجة من ترابطه مع غيره من الألفاظ – المفعول المطلق في الآية الأولى، اسم الإشارة في الآية الثانية – وثانياً: في توافق أصواته مع دلالته.

7- ثجّاجا[6]:

قال تعالى: (وأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَتِ مَاءً ثجَّاجا) (النبأ / 14).

ذهب المفسرون إلى أن معنى الثجّ: الصبّ والتدفق بكثرة و ((ثجاجا: أي متدفقا، ويقال ثجاجا: سيالاً، ومنه قول النبي (صلى الله عليه وآله): (أحب الأعمال إلى الله عز وجل العجُّ والثجُّ) [7]، فالعج التلبية، والثجّ إسالة الدماء من الذبح والنحر))[8].

إن التركيب الصوتي لهذا اللفظ يتكون من ثلاثة مقاطع صوتية، الأول: مقطع طويل مغلق / ث ـَ ج /، والثاني والثالث مقطع طويل مفتوح / ج ـً / ج ـً /[9]، أما أصواته فهي ثلاثة (الثاء والجيم والمد الطويل)، والذي يحمل البحث على عرض البنيات الصوتية الصغرى والمقطعية لهذا اللفظ ما فيها من دلالات تصب في عمق المعنى وفي بعده الإيقاعي.

فالثاء صوت ينتج عندما طرف اللسان بالقواطع العليا سامحا للهواء المزفور بأن يمر من خلال مجرى ضيق، فتسمع حفيف عند النطق به ناتج عن احتكاك الهواء بالمجرى[10]، وهذا الحفيف كأنما يبعث إلى السمع صوت الماء المتدفق. والجيم صوت مجهور انفجاري، ومعلوم أن صفتي الجهر والانفجار يناسبان إلى حد ما شدة التدفق وذلك لأن التدفق بشدة يُحدِث أصواتاً أثناء المرور أو

(1) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم، 266.
(2) قواعد النقد الأدبي لاسل كرومبي 34.
(3) المثل السائر، ابن الاثير 193/1.
(4) دلالة الظاهرة الصوتية في القران الكريم 242.
(5) ينظر: روح المعاني 30 / 242.
(6) ينظر: غريب زيد 293، وغريب ابي قتيبة 508، وغريب ابن الملقن 521، ومعجم الحنفي 281
(7) ينظر الحديث في المستدرك للحاكم النيسابوري 1 / 450، 451.
(8) نزهة القلوب، للسجستاني 66-67، وينظر: روح المعاني للآلوسي 11/30.
(9) ينظر: التطور اللغوي رمضان عبد التواب 63، وينظر: بنية المقطع في القران الكريم 10.
(10) ينظر: علم الأصوات د. روعة محمد 61.

الوقع على الأرض، وأما الادغام فقد أسهم في إظهار قوة هذا اللفظ على سبيل المبالغة فهو على زنة (فعّال) وهذا الوزن من أبين صيغ المبالغة في العربية.

أما تكرار المقطع الصوتي المفتوح مرتين في اللفظ، كأنما هو جاء استجابةً للتساقط المتكرر والمتسارع لحبات المطر من السحب.

والذي يعطي مناسبة أكثر لهذا اللفظ في موضعه هو العدول عن ذكر لفظ السماء بذكر (المعصرات)، فالعصر من الألفاظ التي توحي بالشدة، والتي ينتج عنها رد فعل شديد ما جعل اللفظ يحقق انسجاماً وترابطاً نصياً.

فكل هذه اجتمعت في اللفظ لتجعل من التعبير به يرتقي الى مستوى التعبير الجمالي، إذ عمّق في النفس شدة الاحساس بالمعنى بما فيه من قدرة تعبيرية عجيبة.

ثانيا: جرس التضعيف:

لقد وردت مجموعة من الألفاظ القرآنية التي تناولها أصحاب الغريب في مصنفاتهم رباعية مضعفة، أي إن أولها وثالثها من جنس، وثانيها ورابعها من جنس آخر، وقد توزعت هذه الألفاظ، فمنها ما جاء على صيغة الفعل الرباعي المضعف وهو الأكثر شيوعاً، ومنها ما جاء على صيغة الاسم الرباعي المضعف.

ولما كان للتضعيف أثرٌ في إذكاء الدلالة الصوتية لهذه الألفاظ فقد ارتأى البحث أن يعرض لبعض منها بالتحليل والمناقشة.

1- زحزح [1]:

قال تعالى: (كلُّ نَفْس ذَائقَةُ المَوْتِ وإنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ومَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَعُ الْغُرُورِ) (آل عمران / الآية 185).

إن المعنى في قوله تعالى: (فمن زحزح عن النار) هو التنحي والإبعاد، فمن نُحيَّ عن النار وأُبعِد منها فقد فاز [2]، وإنما جاء التعبير القرآني عن هذه التنحية والإبعاد بلفظ (زحزح) من دون غيره من الألفاظ لما في هذا اللفظ من القوة في التعبير عن المعنى المقصود الدقيق، وقد اكتسب هذا اللفظ قدرته التعبيرية من جهتين: الأولى من جهة صوت الزاي الذي تكرر مرتين في اللفظ، ومعلوم لدينا أن هذا الصوت هو من الأصوات الصفيرية المجهورة الذي يصاحبه حدوث زفير يخرج من الأوتار الصوتية عند النطق به[3]، ما جعل هذا اللفظ يكون أكثر مناسبة في تصوير ((مشهد الإبعاد والتنحية بكل ما يقع في هذا المشهد من أصوات وما يصاحبه من ذعر الذي يمر بحسيس النار ويسمعه ويكاد يصلاه))[4].

أما الثانية فمن جهة تكرار المقطع الصوتي، فاللفظ تكون من تكرار المقطع الصوتي الطويل المغلق نفسه الذي تكون من (صامتين بينهما مصوت قصير)[5] (ز ـُ ح) + (ز ـِ ح) وهذا التكرار في حقيقته أعطى للبنية الصوتية داخل التركيب بعداً إيحائيا قام على أساس ((رصد العلاقة المتضمنة بين الشكل والدلالة)) [6]، وعليه فإن البنية الصوتية هنا التي قامت على التكرار المضاعف جاءت مكتنزة بالدلالة ما يجعل المتلقي يستطيع الوقوف عليها بأدنى تأمل.

فضلا على ذلك كله فإنه يمكن استشعار الانفعالات النفسية لدى المعنيين بالنص الكريم، وهم في حال الزحزحة عن النار، فهم ـ كما يبدو ـ بين حالين من الشدة والرخاء، أما الشدة فقد جاءت من قربهم من النار وكأنما ما زال في نفوسهم خوف منها، وقد جاء صوت الزاي الصفيري المجهور ليعادل هاجس الخوف لديهم، وأما الرخاء فقد جاء من دنوهم من الجنة واستبشارهم بها، وقد جاء صوت الحاء المهموس ليعبر عن تلك الحال.

2- زُلزِلوا [7]:

قال تعالى: (هُنَالِكَ ابْتُلِىَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزَالاً شدِيداً) (الأحزاب / الآية 11)، ذهب بعض المفسرين في تفسير هذا النص الكريم إلى ان الابتلاء هنا جاء بمعنى الاختبار والتمحيص ليعرف المؤمن من المنافق و (زلزلوا) بمعنى حُرِّكوا وخُوِّفوا، أما (زلزالا) فتعني تحريكا شديدا[1].

(1) ينظر: كتب غريب ابن قتيبة 116، والتبيان 134، ومعجم الحنفي 308
(2) ينظر: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آل القران) 7 / 452.
(3) ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربية، محمد حسن حسن جبل 125.
(4) مباحث في علوم القرآن 335.
(5) أبحاث في أصوات العربية د. حسام النعيمي 9، وينظر: بنية المقطع في القرآن الكريم 10.
(6) البنى الأسلوبية، حسن ناظم 98
(7) ينظر: غريب زيد 198، وغريب ابن قتيبة 348

(1) ينظر: الكشف والبيان للثعالبي 8 / 19، وروح المعاني 21 / 211.

وفي هذا اللفظ تكوّن المقطع المكرر من صوتي الزاي واللام، وكلاهما صوت مجهور، والجهر في حقيقته زفير يصاحب الحرف عند نطقه، ((وسبب صدور زفير الجهر إن الهواء المندفع من الرئة.... قد تتضايق أمامه فتحة المزمار.... فلا ينفذ إلا باحتكاك شديد بالوترين الصوتيين المكونين لجانبيها بسبب صغر الصدر من ورائه، وضيق المنفذ بين الوترين أمامه، فلذلك الاحتكاك تتذبذب الأوتار الصوتية بشدة فيصدر ذلك الزفير الذي هو الجهر))[1]. والحقيقة إن هذه العملية في نطق الأصوات المجهورة قد أخذت مداها الأوسع في هذا اللفظ، وذلك لأنها تتكرر مع كل صوت من أصواته بصورة متعاقبة، ما جعله يلقي بظلاله على المشهد المفزع لحدوث الزلزال وعليه فقد جاء اللفظ في غاية الإبداع في تصوير حركتهم الشديدة وعرضها بكل ما يصاحبها من ضجيج وانفعالات في ذلك الموقف.

3- حصحص[2]

قال تعالى: [قَالَ مَا خَطبُكُنَّ إِذْ رَوَدتُّنَّ يُوسف عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَش للَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سوء قَالَتِ امْرَأَت الْعَزِيزِ الآنَ حَصحَص الْحَقُّ أَنَا رَوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وإِنَّهُ لَمِنَ الصادِقِينَ] (يوسف / الآية 51).

قال الآلوسي: ((حصحص: أي: ظهر وتبين بعد خفاء))[3].

وإذا عدنا إلى التشكيل المقطعي لهذا اللفظ وجدنا أنه متكون من تكرار المقطع نفسه وهو من المقاطع الطويلة المغلقة / ح ـَ ص + ح ـَ ص، إذ تكون من صامتين هما (الحاء والصاد) بينهما صائت قصير.

والحاء من الأصوات الرخوة المهموسة عند النطق به تنقبض فتحة المزمار من دون أن تحدث اهتزازا في الوترين الصوتيين[4]، وهذا ما يجعله مناسبا جدا للتعبير عن خفاء الحق قبل ظهوره الذي أشار اليه تفسير اللفظ.

ثم جاء الصاد بعد صائت قصير وهو من الأصوات ذات الجرس الصارخ إلى جانب السين والزاي ـ كما عبر عنها الدكتور محمد حسين الصغير ـ إذ ((يلحظ لدى استعراضها أنها تؤدي مهمة الإعلان الصريح عن المراد في تأكيد الحقيقة، وهي بذلك تعبر عن الشدة حينا وعن العناية بالأمر حينا آخر، مما يشكل نغما صارما في الصوت وأزيزا مشددا لدى السمع))[5].

وهنا يمكن القول أيضا إن هذا الازيز المشدد الذي يحدثه صوت الصاد في السمع جاء ليعبر عن وضوح الامر وانكشافه وبذلك يتجسد لنا جانب جمالي في هذا اللفظ ولاسيما في مجيئه للتعبير عن هذا المعنى، فلو تأملنا خفاء الامر ثم انكشافه بهذه القوة وأمام الملأ لما وجدنا عجبا في ((اختيار هذا اللفظ في أزيزه ووضوح أمره مع القهر، فلا تردّ دلائله ولا تخبو براهينه))[6]. فقد أسهم بناؤه الصوتي في اداء الوظيفة البلاغية له وتقريب المعنى من المتلقي إذ منحه قدرة على الايحاء والتصوير معاً.

4- كبكبوا [7]:

قال تعالى: فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ والغَاوُنَ) (الشعراء / الآية 94)، وكبكبوا هنا بمعنى قذفوا والضمير فيه يعود على المشركين، كما إن الضمير في قوله (فيها) يعود على الجحيم، أما الغاوون فهم الشياطين[8].

والذي يلفت هنا ان مادة (كبّ) وردت في القران الكريم في غير موضع من دون تكرار للمقطع الصوتي، منها ما جاء في قوله تعالى: (فكبت وجوههم في النار) (النمل / الآية 90)،وكذلك في قوله تعالى: (أفمن يمشي مكبّاً على وجهه اهدى) (الملك / الآية 22). والحقيقة إن المعنى الذي وردت فيه في الموضعين لا يتطلب إثارة المبالغة في وصف أحوالهم فلذلك خلت من التكرير الذي يفيد المبالغة.

أما في سورة الشعراء فقد جاء التكرير في اللفظ محاكيا لدلالة الشدة والفزع فيه[9]، فقد ((جُعِلَ التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها))[10]، إذ إن واقع حال هؤلاء المشركين وهم في

(1) المختصر في أصوات اللغة العربية 56.
(2) ينظر: غريب ابن قتيبة 218، وغريب ابن الملقن 181، ومعجم الحنفي 289، ومعجم عبد الباقي 37
(3) روح المعاني 12 / 611.
(4) ينظر: علم الأصوات وأصوات اللغة العربية، 62 - 63.
(5) الصوت اللغوي في القرآن 179.
(6) الصوت اللغوي في القرآن 181
(7) ينظر: غريب زيد 180، وغريب ابن قتيبة 318، والتبيان 250، ومعجم الحنفي 177
(8) ينظر: تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين 3 / 279.
(9) ينظر: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، شرف الدين الطيبي، 474.
(10) الكشاف 3 / 368، وينظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي 132/6.

تدهور دائم بين القيام والسقوط على وجوههم أو مناخرهم مرة بعد أخرى لا يمكن ان يُستشعَر عند المتلقي أو يُصوَّر في ذهنه بهذا التمكن بغير هذا اللفظ[1].

ولعل الذي أضفى على هذا اللفظ نغماً صارما وشدة في الدلالة وقدرة على التصوير صوتي (الكاف والباء) فكلاهما صوت انفجاري شديد، فضلا على أنهما تكررا مرتين في اللفظ نفسه ما أعطاه شحنة انفعالية مضاعفة، ومن ثم جعلا اللفظ يكون منسجما مع المعنى الذي جاء به، وإن هذا الانسجام بين اللفظ والمعنى أعطى للنص الكريم كاملا بعدا جماليا محببا لدى المتلقي، وقدرة هائلة على التأثير فيه.

5- صرصر [2]

قال تعالى: [فَأَرْسلْنَا عَلَيهِمْ رِيحاً صرْصراً في أَيّامٍ نحِساتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَاب الخزْيِ في الحَيَاةِ الدّنْيَا ولَعَذَاب الآخرة أَخْزَى وهُمْ لا يُنصرُونَ] (فصلت/ الآية 16)، وقال في موضع آخر: [إِنَّا أَرْسلْنَا عَلَيهِمْ رِيحاً صرْصراً في يَوْمِ نحْس مُّستَمِرّ] (القمر/ الآية 19)، وقال أيضا: [وأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكوا بِرِيح صرْصر عَاتِيَة] (الحاقة/ الآية 6).

وقد وردت مادة (صرّ) من دون تضعيف في قوله تعالى: [مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ في هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كمَثَلِ رِيح فِيهَا صرٌّ أَصابَت حَرْث قَوْم ظلَمُوا أَنفُسهُمْ فَأَهْلَكتْهُ ومَا ظلَمَهُمُ اللَّهُ ولَكِنْ أَنفُسهُمْ يَظلِمُونَ] (آل عمران/ الآية 117).

وكما مرّ معنا إن تضعيف الألفاظ يأتي من أجل إظهار معاني الشدة والمبالغة فيها، ولذلك قيل في تفسير الصرصر:- إنها ريح شديد السموم، والصَرّ بفتح الصاد بمعنى الحر. وقيل أيضا إنَّ معناها: ريح باردة شديدة، والصِر بكسر الصاد البرد[3].

ولما أراد المبالغة في شدة الصفة كرر المقطع، قال ابن جني: ((فلمّا كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها وجعلوه دليلا على قوّة المعنى المحدَّث به وهو تكرير الفعل كما جعلوا تقطيعه في نحو صرصر وحقحق دليلا على تقطيعه))[4]، وقال الطوسي: ((أرسل عليهم ريحا صرصرا أي شديدا صوته واشتقاقه من الصرير ولذلك ضوعف اللفظ إشعارا بمضاعفة المعنى))[5]. وقد كان لصعوبة الصفير لحرف الصاد والتكرار في حرف الراء اثر في قوة دلالة اللفظ على المعنى، فالتتابع الصوتي في اللفظة اكسبها اثارة في استيحاء الموقف الذي عبرت عنه فقد يحدث ان تفقد الكلمات ذات المعنى المباشر فاعليتها في نقل الموقف كما اراد لها المبدع فيضطر الى الاستعانة بالفاظ اخرى ذات بعد موسيقي لها القدرة على نقل ذلك الموقف بصورة اكثر تاثيرا من شأنها ان تشد المتلقي للنص[6]

وصرصر من الالفاظ التي تصاقب معانيها، إذ تكون فيها أصوات الحروف على سمت الأحداث التي تعبر عنه، فهي تحمل شحنات دلالية موحية إلى حد كبير، ففيها من قوة الجرس وروعة الأداء ما يحمل النفوس إلى مستوى الاحساس بالمعنى الذي تحمله، فأنتَ ((تلمس فيها اصطكاك الأسنان وترديد اللسان، فالصاد في وضعها الصارخ والراء المضعفة، والتكرار للمادة في (صرصر) قد أضفى صيغة الشدة وجسّد صورة الرهبة فلا الدفء بمستنزِل ولا الوقاية متيسرة)) [7].

وعليه فإن الانسجام التام بين المعنى وصفات الأصوات المكررة في هذا اللفظ قد انعكس على المتلقي وزاد من شدة التأثير فيه بما يمتلكه من قوة تعبيرية جعلته يكون جميلا في مواضعه التي ورد فيها.

6- عسعس [8]:

قال تعالى: **(والليلِ إذا عسعس)** (التكوير / 17).

ذهب أهل اللغة إلى أن (عسعس) من ألفاظ الأضداد[9]، فيقال: عسعس الليل وسعسع، إذا أدبر، ويقال أيضا: عسعس إذا أقبل ظلامه. وعليه فقد انقسم المفسرون في تفسير اللفظ في الآية الكريمة. قال الفراء: ((اجمع المفسرون على أن معنى (عسعس)

(1) ينظر: مباحث في علوم القرآن 336.
(2) ينظر: غريب ابن قتيبة 388، وغريب ابن الملقن 350، ومعجم الحنفي 324، ومعجم عبد الباقي 112
(3) ينظر: روح المعاني 498/24.
(4) الخصائص 2/ 155.
(5) التبيان في تفسير القرآن، للطوسي 111/9، وينظر: مجمع البيان، للطبرسي380/2.
(64) ينظر: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة – د. مصطفى سويف 132

(7) الصوت اللغوي في القران 187
(8) ينظر: غريب زيد 300، وغريب ابن قتيبه 517، والتبيان 337
(9) ينظر: الأضداد في كلام العرب، أبو الطيب اللغوي 308

أدبر، وكان بعض أصحابنا يزعم أن (عسعس) دنا من أوله))[1]، وذهب غير واحد من المفسرين إلى تحديد الصفة لا إلى تحديد الزمن، فقال: ((عسعس الليل: إذا كان غير مستحكم الإظلام))[2]، وهو على هذا التوجيه يحتمل إقبال الظلام وإدباره.

والذي يترجح عندي ما ذهب إليه أكثر المفسرين وهو معنى الإدبار، وذلك إننا لو وقفنا وقفة بسيطة على الأقسام القرآنية بألفاظ الزمن نجد أنها جاءت في أعمها مراعية للتعاقب الزمني بينها، ففي سورة الشمس مثلاً قال تعالى: [والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها] (الآيات من 1 – 4) وقال في سورة الضحى: [والضحى والليل إذا سجى] (الايتان 1 – 2)، وقال في سورة الفجر: [والفجر وليالٍ عشرٍ] (الايتان 1 – 2). وبناء على هذا يمكن القول إن ما ذهب إليه احد الباحثين المحدثين في ترجيحه معنى الإقبال، إذ يرى أنه أنسب لتناسقه مع الآية الثانية[3]، رأي فيه نظر، إذ لو كان الأمر كذلك لتقدمت الآية الثانية على الأولى، والله تعالى أعلم.

والحقيقة إن الدلالة الصوتية في هذا اللفظ قد اختلفت تماما عن الدلالات الصوتية الأخرى في الالفاظ الرباعية المضعفة، إذ انها جميعا حملت معاني العنف والقوة والتهديد في بنائها الصوتي ما يعطي للقارئ تصورا إن هذه الألفاظ جاءت مضعفة لإظهار هذه المعاني، إلا ان هذا التصور سرعان ما يتبدد مع (عسعس) بما يشيعه من أجواء راخية حالمة وهو يجسد (صورة الليل وهو يعسّ بالظلام بحركة وئيدة بطيئة، وصورة حية شاخصة على طريقة القرآن في التشخيص، لتحقق منتهى التأثير بهذه الصورة الشاخصة)[4]، كما اننا لو نظرنا إلى الأصوات المفردة التي تكون منها اللفظ واللذين هما صوتا العين والسين نجد أن تراوح صوت العين بين الجهر والرخاوة يعطي إيحاء بدخول الصبح بما يحمله من أصوات هادئة، فالجهر يناسب الصبح. كما أن الهمس والخفاء في السين يناسب الليل وبذلك تكون هذه اللفظة بجرسها الصوتي قد رسمت مشهد الهزيع الأخير من الليل في وقت قد تداخل فيه ضوء الفجر الذي أقبل بقوة مع ظلام الليل الذي أدبر بهدوء.

7 – رفرف [5]

قال تعالى:**(مُتَّكِئِينَ عَلى رَفْرَف خُضر وعَبْقَرِي حِسان)** (الرحمن / 76).

قال الزمخشري: ((الرفرف: ضرب من البسط. وقيل البسط وقيل الوسائد، وقيل كل ثوب عريض رفرف))[6]، ومنهم من ذهب إلى أنها رياض الجنة[7]. والذي يتسابق إلى السمع حين تردد هذا اللفظ ذلك الصدى الحالم الذي يتمتع به فأنت حين ترده تستشعر بالرخاء والهدوء، إذ تتجلى لك صورة الحياة هناك بأرق مظاهرها فهي ناطقة بمضمونها ((تؤدي معناها من خلال أصواتها))[8]. فالراء صوت تكراري مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، اما الفاء فهو من الأصوات المهموسة المرققة. ولعل الهمس والترقيق والرخاوة التي تتمتع بها هذه الأصوات جاءت متساوقة مع دلالة اللفظ وبالتالي جعلته أكثر سموا وجمالا في سياقه هذا الذي لا يمكن للفظ آخر أن يحلَّ محله، لما فيه من قيمة جمالية دلالية[9]، كما ان تكرار المقطع الصوتي فيه يبعث في النفس إيحاءاً بتكرار المشهد إن تكرار المقطع يوحي بتكرار الحدث واستمراره[10].

رابعا: جرس صفات الأصوات:

1– يصطرخون [11]

قال تعالى: **[وهُمْ يَصطرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صلِحاً غَيرَ الَّذِي كنَّا نَعْمَلُ أَو لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظالِمِينَ مِن نَّصِير]** (فاطر / 37).

(1) معاني القران 3 / 242.
(2) المحرر الوجيز 444/5.
(3) ينظر: الإعجاز الفني في القران الكريم، عمر السلامي 261.
(4) دلالات الظاهرة الصوتية في القران الكريم 248.
(5) ينظر: غريب ابن قتيبه 443،و وغريب ابن الملقن 437، والتبيان في غريب القرآن، لابن الهائم 309
(6) الكشاف 4 / 326.
(7) ينظر: غريب ابن قتيبة 443.
(8) الصوت اللغوي في القران 176.
(9) ينظر: في جمالية الكلمة د. حسين جمعة 54.
(10) ينظر: في النص القرآني وأساليب تعبيره، د. زهير غازي زاهد 98.
(11) ينظر:غريب زيد 206، وغريب ابن قتيبه 361، والغريبين 1070

إن(يصطرخون) هنا جاءت بمعنى يتصارخون بشدة ((والاصطراخ الصياح والنداء بالاستغاثة: افتعال من الصراخ، قلبت التاء طاءً لأجل الصاد الساكنة قبلها، وإنما فعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والاطباق ويوافق التاء في المخرج))[1]، ولعل التساؤل الذي يتبادر إلى الذهن– هنا– لماذا كان التعبير بهذا اللفظ دون يصرخون؟

وإذا عدنا إلى حقيقة المشهد الذي هم فيه علمنا أنه من أشد المشاهد فزعا فالضمير في (فيها) يعود على نار جهنم التي مر ذكرها في الآية السابقة، فهم بين لهيبها وحسيسها وكلاهما أفزع من الآخر. فالمشهد إذن من مشاهد عذاب يوم القيامة تعالت فيه الأصوات تستغيث من النار، وعليه فقد جاء صوت الطاء لـ((يضيف معنى الشدة في استغاثة الكافرين ليدل على صراخ قوي نابع من نفوس محطمة بائسة))[2]، فضلا على ذلك فإن صوت الطاء دائما ما يكون للتعبير عن علو الأصوات، فالأطفال مثلا إذا أرادوا التعبير عن صوت العيار الناري رددوا صوت الطاء مع المد (طا طا) لما يمتلكه من قوة انفجارية عالية، كما تظافرت مع هذا الصوت أصوات (الصاد والخاء والراء) فهي أصوات مفخمة وعليه فقد كان ((توالي الصاد والطاء وتقاطر الخاء والراء والترنم بالواو والنون يمثل لنا رنة هذا الاصطراخ المدوي))[3]، وعليه فإن هذا اللفظ بصيغته وجرسه وشدة النطق به ترجم بدقة متناهية الحالة النفسية لهم وهم في حالة من الضجيج والانفعال والصراخ، فأنت ((تسمع كلمة (يصطرخون) في الآية فيخيل جرسها الغليظ غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالاصوات الخشنة))[4]. وإن هذا كله حقق تناسقا جماليا رائعا جعل من المتلقي يستشعر المعنى عن طريق تناسب الأصوات وانسجامها مع الدلالة.

2– ضيزى[5]

قال تعالى: [أَلَكُمُ الذَّكَرُ ولَهُ الأُنثى * تِلك إِذاً قِسمَةٌ ضِيزَى] (النجم / 21–22).

لقد ذهب المفسرون إلى ان (ضيزى) بمعنى جائرة أو ناقصة أو ظالمة، ويقال: (ضاز في الحكم إذا جار، وضيزى وزنه (فُعْلى)، فكُسِرت الصاد للياء وليس في النعوت (فِعلى))[6]، ومن هذا نفهم أن هذه المفردة لم تكن غريبة في لفظها فقط، وإنما في صيغتها أيضاً وعليه فقد كانت هذه الغرابة ((أشدَّ الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها))[7]. وما أراها على هيأتها هذه إلا مصداقا لما قاله الجاحظ ((إنما الألفاظ على أقدار المعاني))[8].

وإذا نظرنا إلى هذه اللفظة بلحاظ البناء الصوتي لها ومدى ملاءمته لمعناها نجد أنها تكوّنت من مقطعين صوتيين، الأول مدٌّ ثقيل، والآخر مد خفيف، ومن المعلوم لدينا أن الكسر أثقل أصوات المد القصيرة، وقد جاء بعد صامت (الضاد)، أما الفتح فهو أخفها وقد جاء بعد صامت (الزاي)، وهذا التشكيل الصوتي للفظة يجعل المتأمل بها كأنّه أمام كفتي ميزان، وهاتان الكفتان غير متوازنتين، فكانت اللفظة بذلك من مصاديق القسمة الجائرة، إذ إنها تمكنت في ((موقعها من ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي من وصف حالة المتهكم في إنكاره))[9].

هذا من جهة المعنى، أما من جهة الموسيقى فقد جاءت على الحرف المسجوع الذي انتهت به فواصل السورة كلها، ما أعطاها قوة في موضعها، إذ لا يسد مسدها لفظ آخر[10].

وقد أشار إلى ذلك من السابقين ابن الأثير في معرض مناقشته لها، فهو يقول: ((إذا جئنا بلفظة في معنى هذه لفظة قلنا: (قسمة جائرة أو ظالمة)، ولا شك أن جائرة أو ظالمة أحسن من ضيزى، إلا أن إذا نظمنا الكلام فقلنا: (لكم الذكر وله الأنثى * تلك إذن قسمة جائرة) لم يكن النظم كالنظم الأول، وصار الكلام كالشيء المعوز الذي يحتاج إلى تمام وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة لنظم الكلام))[11].

---

(1) مجمع البيان 8 / 641.
(2) دلالات الظاهرة الصوتية في القران الكريم 235.
(3) الصوت اللغوي في القران 166.
(4) التصوير الفني في القران الكريم 79.
(5) ينظر:غريب ابن قتيبه 428، وابن الملقن 420، ومعجم الحنفي 329، ومعجم عبد الباقي 119
(6) التبيان 304.
(7) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - للرافعي 230، وينظر: لغة القرآن- احمد مختار عمر 144، والصورة الأدبية في القرآن الكريم - صلاح الدين عبد التواب 83.
(8) الحيوان 8/6.
(9) الصورة الأدبية في القران الكريم 84.
(10) ينظر: جرس الألفاظ 203، ومن بلاغة القرآن 73، وفي جمالية الكلمة 46.
(11) المثل السائر 162/1.

ومن هذا يتبين لنا أن هذه اللفظة متى ما جاءت مفردة خارج النظم كانت غريبة وقبيحة في الوقت نفسه، ولكن فصاحتها وسر جمالها ينكشف واضحاً وجلياً في التركيب ولاسيما في السياق القرآني الذي وردت فيه، إذ جاءت ملبيةً للمعنى والإيقاع معاً، إذ إنها خلقت حالة من التناغم بينهما ألقى بظلاله على المتلقي في خلق حالة من الدهشة عنده وهو يتلقى النص قارئاً أو سامعاً.

3- أفٍّ [1]

قال تعالى: [فَلا تَقُل لهُمَا أُف ولا تَنهَرْهُمَا وقُل لَّهُمَا قَوْلاً كرِيماً] (الإسراء / 23).

قيل أن ((الأفّ وسخ الأذن، والتفّ وسخ الأظفار، ثم يقال لما يستثقل ويضجر منه: أفٍّ وتفٍّ))[2]. وقال ابن عطية: ((إنها اسم فعل، كأن الذي يريد أن يقول أضجر واتقذر وأكره، أو نحو هذا يعبّر إيجازاً بهذه اللفظة فتعطي المعنى المذكور))[3]، ولعل مناسبة هذه اللفظة للمعنى الذي جاءت به يمكن ان تستشعر في اكثر من جانب واحد فيها. فقصر اللفظة أعطاها بعداً بيانيا فهي تستعمل كناية عن أقل الأذى ((ولو علم الله تعالى أوجز منها في ترك العقوق لأتى بها))[4]، ومن جهة أخرى فإن ما يحصل من طرد النفس من الصدر عند النطق بصوت الفاء جعل اللفظة تعبر عن الرفض وإرادة التخلص ((ولو أن الرافض بحث عن تعبير مناسب للرفض ما وجد أفضل من لفظ (أف) بسبب ما فيها من دلالة طبيعية تدعم دلالتها العرفية فهي تدل بجرسها على ما تدل عليه بوضعها))[5].

هذا وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه اللفظة من الألفاظ التي توسع مجال الدلالة فيه ((وأصلها إنه إذا سقط تراب أو رماد فنفخ الإنسان ليزيله فالصوت الحاصل هو (أفّ) ثم توسعوا في الكلمة حتى أصبحت تقال لكل مكروه))[6].

وبعبارة أخرى: إن جرس اللفظة جعلها تمتلك قيمة تعبيرية كبيرة على الرغم من قصرها، كما أنها كانت واحدة من السمات الجمالية في النص القرآني، إذ جاءت منسجمة مع الجو الصاخب في سياق الآية الكريمة الذي اصطبغ بألوان الرفض والتضجر.

4- أغطش [7]

قال تعالى: [وأَغْطش لَيْلَهَا وأَخْرَجَ ضحَاهَا] (النازعات / 29).

ذهب بعض المفسرين إلى أن (أغطش) من مرادفات (أظلم) أي إنهما بمعنى واحد، والمعنى: أظلم ليله، أي جعله مظلماً[8]. والذي يتراءى لمن يتأمل في اللفظين إنه لا وجه للترادف فيهما، وإنما جاء النص بهذا اللفظ للإشارة إلى معانٍ لا تؤديها كلمة (أظلم)، إذ إن (أغطش) ((تمتاز بدلالة أخرى من وراء حدود اللغة، فالكلمة تعبر عن ظلام انتشر فيه الصمت وعمّ الركود وبدت في أنحائه مظاهر الوحشة، ولا يفيد هذا المعنى كلمة (أظلم)، إذ تعبر عن السواد الحالك ليس غير))[9].

ولعل الذي جعل هذا اللفظ مكتنزا بهذه المعاني كلها، الترتيب الصوتي لها ابتداءٌ من البناء العام للفظ وانتهاءٌ بالوحدات الصوتية الصغرى فيه، فاللفظ من الألفاظ الغريبة التي تشعر بالوحشة والتي تنبو منها الأسماع، فلذلك قلّ استعماله في لغة العرب، وقد جاء هنا مقصوداً ليختزل التعبير عن مشهد مظلم خيّم عليه الصمت وعمَّ فيه الركود وبدت عليه مظاهر الوحشة، فهو على غرابته وكراهته جاء في موضعه على أحسن ما يمكن أن تأتي عليه الألفاظ، إذ ((إن أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه))[10]، وربما يكون المعنى أوضح في تحليل التركيب الصوتي للفظ. فاللفظ تشكل من مقطعين / أ ـَ غ / ط ـَ ش، والمقطع الثاني أظهر وأبين من الأول عن النطق باللفظ مُقَطَّعاً، فهو يتكون من صامت الطاء زائدا مد قصير زائدا صامت الشين، والذي أعطاه قوة في الظهور صوت الطاء تحديداً – فهو كما مرّ – من أصوات الإطباق الشديدة، مما أعطى إيحاءاً بإطباق الليل وشدة ظلامه. أما صوت الشين فهو صوت رخو مهموس، وصفه الدارسون بالتفشي، لأن الهواء يتفشى عندما يرتفع طرف اللسان إلى مؤخر اللثة عند النطق به، وهذه الصفات تقرّب إلى الذهن حالتي الصمت والركود التي تفشت في أنحاء الظلمة.

---

(1) ينظر:غريب زيد 135،والغريبين 82، والتبيان 212، ونزهة القلوب 29
(2) نزهة القلوب 29.
(3) المحرر الوجيز 3 / 448.
(4) الحجة في القراءات السبع - ابن خالويه 125.
(5) البيان في روائع القرآن 355.
(6) ينظر: صفوة التفاسير 56/1،.وينظر دلالات الظاهرة الصوتية 246
(7) ينظر:غريب ابن قتيبه 513،وغريب ابن الملقن 526، ومعجم عبد الباقي 148
(8) ينظر: غريب ابن قتيبة 513، والكشاف 4 / 541.
(9) مباحث في إعجاز القران، د. مصطفى مسلم 147.
(10) البيان والتبيين، للجاحظ 1 / 83.

ومن لطيف ما يمكن ذكره هنا إن صوت الشين يستعمل في اللغة الدارجة وفي أكثر اللهجات العربية المتداولة اليوم للتعبير عن الصمت في صيغة دارجة تقترب في بنائها ومعناها من صيغة فعل الامر (ولعله اسم صوت) (اشْ) بمعنى اصمت، وهذا يعضد ما بدا لي في دلالة صوت الشين على الصمت والركود.

وعليه فإن لطافة هذا اللفظ تكمن في جرس أصواته ومدى مناسبتها للمعنى فهي تجعل المتلقي قريبا إلى استشعار المعنى من خلال إيقاعها المتماسك وجرسها المعبّر.

5- جُدد [1]

قال تعالى: [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَت مخْتَلِفاً أَلْوَنهَا ومِنَ الْجِبَالِ جُدَدُ بِيضٌ وحُمْرٌ مخْتَلِفٌ أَلْوَنهَا وغَرَابِيب سودٌ] (فاطر / 27).

ذكر المفسرون أن الجدد بمعنى القطع الصخرية أو الترابية، وقد خُلِقت بألوان مختلفة [2].

و(جدد) هنا من الألفاظ التي سُخِّرَ جرسُها إيحاءاً بالمعنى الدقيق دون غيره من الألفاظ التي أشار إليها المفسرون، فهو يمتلك طاقة تعبيرية تتجاوز حدود المعنى المعجمي له ((فالشدة واقعة في كل حرف من حروفه مما يوحي بالقوة التي تتناسب مع تركيب الجبال)) [3]، كما يرى احمد مختار عمر أنه ((كان يمكن لهذا المعنى أنْ يوصل إليه بواسطة استعمال لفظ (صخور) ولكن حروف هذه الكلمة هي: صاد رخوة ثم خاء رخوة أيضاً ثم راء تكرارية وفي الرخاوة رخاوة وفي التكرار تخلخل))[4]. فالتشكيل الصوتي لهذا اللفظ جمع بين الشدة والانفجار، فالجيم صوت انفجاري يتراوح بين الشدة والرخاوة، والدال صوت انفجاري أيضا خالص في الشدة[5].

ولعل هاتين الصفتين في أصوات هذا اللفظ جعلاه منسجماً مع ذكر لفظ الجبال، ليشكل معه إيقاعا متناسقا استنزفت فيه قدرات صفات أصوات الحروف في خلق نغمٍ حادٍ يتساوق مع المعنى الذي جاء به النص.

5- طفقا [6]:

قال تعالى: [فَدَلَّاهُمَا بِغُرُور فَلَمَّا ذَاقَا الشجَرَةَ بَدَت لهمَا سوْءَتهُمَا وَ طفِقَا يخْصِفَانِ عَلَيهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ نَادَاهُمَا رَبهُمَا أَ لَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشجَرَةِ وَ أَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشيْطنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ] (الاعراف / 22).

الآية الكريمة في معرض الحديث عن آدم وزوجه في قصتهما مع الشيطان الذي أغواهما فذاقا من ثمر الشجرة التي نهاهما الله عنها فنزلت بهما عقوبة الله تعالى بأن ((تهافت عنهما اللباس، فظهرت لهما عوراتهما، وكان لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر))[7]، فجاء التعبير بقوله (طفقا يخصفان) رد فعل منهما لستر عوراتهما بورق الجنة فجعلاه ورقة فوق ورقة[8].

ولو حاولنا تصور هذا المشهد في الذهن لاستقراء الانفعالات النفسية التي انتابتهما لكان أول ما يطالعنا من تلك الانفعالات هي حالة الفزع الشديد حينما تهافت عنهما اللباس في اللحظة الأولى، ومن بعد ذلك استشعار الحياء الشديد عندهما، فما نقله المفسرون يشير إلى ذلك بوضوح، قال ابن عطية:((فلما واقَع المعصية وبدت له حاله فرّ على وجهه، فأخذت شجرة بشعر رأسه، يقال إنها الزيتونة، فقال لها: أرسليني فقالت: ما أنا بمرسلتك، فناداه ربه، أمنِّي تفرُّ يا آدم ؟ قال لا يا رب، ولكني استحييك))[9]، ولعل هذين الانفعالين يفسران لنا سبب انتقاء هذين اللفظين للتعبير عن هذا الموقف، لما فيهما من دلالة صوتية تعطي إيحاءٌ بالمعنى، فاللفظ الأول تكوّن من صوتين شديدين انفجاريين هما (الطاء والقاف) بينهما صوت رخو مهموس مرقق هو (الفاء)، فأما الصوتان الانفجاريان فجاءا محاكاةً لحالة الفزع التي نتجت من تهافت اللباس فجأة مرةً، ومن الشعور بالمعصية مرة أخرى.

وهذه الحال أكثر ما يناسبها الأصوات الشديدة الانفجارية ولاسيما صوت الطاء الذي من صفاته الأخرى الإطباق، وهذه تُعطي حالة من الترقب والخوف عندهما من الله سبحانه بأنْ يطبق عليهما عذابه.

أما صوت الفاء برخاوته وهمسه وترقيقه فجاء ليترجم حالة الحياء من ربهما والتذلل بين يديه، وهذا الحياء قد خالطه حياء آخر هو حياء بعضهما من البعض.

---

(1) ينظر:غريب ابن قتيبه 361، وغيب ابن الملقن 320،والتبيان 270،ومعجم الحنفي 284
(2) ينظر: تفسير ابن كثير 11 / 319، والبحر المحيط 7 / 296.
(3) البيان في روائع القرآن 353.
(4) البيان في روائع القرآن 353.
(5) ينظر: علم الأصوات وأصوات العربية د. روعة محمد 61، 64.
(6) ينظر:غريب ابن قتيبه 166، وغريب ابن الملقن 139،ومعجم عبد الباقي 46
(7) الكشاف 2 / 149.
(8) ينظر: الكشاف 2 / 149.
(9) المحرر الوجيز 386/2.

ومن ثم فإن هذا اللفظ يشعر بقوة وسرعة الشروع بالفعل ما يمكن لأي: فعل أمر أن يشعر به، فلو جاء التعبير بالفعل (جعلا يخصفان) لتبادر إلى الذهن أنهما كانا على مهل، وهذا لا يتلاءم مع شدة الحياء والخوف الذي استوجب السرعة في ستر عوراتهما.

وبناءٌ على هذا فإنه يمكن القول إن هذا اللفظ بجرسه الصارم جاء معانقا لسياق الجملة القرآنية التي ورد فيها، إذ أعطاه عمقاً دلالياً وجمالياً في الوقت نفسه، من خلال التعاطي المتبادل بين أصواته وبين دلالته.

6- انبجست [1]:

قال تعالى: **(وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَ أَوْحَيْنَا إِلى مُوسى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَت مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كلُّ أُنَاس مَّشْرَبَهُمْ وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ والسلْوَى كلُوا مِن طيِّبَتِ مَا رَزَقْنَكمْ وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لَكِن كانُوا أَنفُسهُمْ يَظلِمُونَ)** (الأعراف / 160).

قال الراغب: ((يقال بجس الماء وانبجس: انفجر، ولكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيقٍ، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء))[2]. ولعل هذا التوجيه للمعنى كان له الأثر في توجيه بعض الدارسين وهم يحاولون الوقوف على حقيقة استعمال الفعل (انبجس) في هذه الآية المباركة، في حين استعمل الفعل (انفجر) في آية أخرى من سورة البقرة تناولت قصة الاستسقاء نفسها. قال تعالى: (وإِذِ استَسقَى مُوسى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضرِب بِّعَصاك الْحَجَرَ فَانفَجَرَت مِنْهُ اثْنَتَا عَشرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كلُّ أُنَاس مَّشْرَبَهُمْ كلُوا وَاشرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَ لا تَعْثَوْا في الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) (البقرة / 60). فقد ذهبوا إلى إن الانفجار بالماء أغزر من الانبجاس[3]، فلذلك جاء التعبير في سورة البقرة بالفعل (انفجر)، لأن موسى (عليه السلام) هو الذي استسقى فناسب إجابته بالانفجار، اما في سورة الاعراف فإن قومه هم الذين استسقوا، فناسب إجابتهم بالانبجاس، كما ان الضرب بالعصا في سورة البقرة جاء قولا مباشرا من الله تعالى لموسى، أما في سورة الاعراف فقد جاء إيحاءً، والقول الصريح أتم وأكمل من الإيحاء. كما ان النص في سورة البقرة جمع بين الاكل والشرب، أما في الأعراف فقد ذكر الشرب فقط[4].

فكل هذه الأشياء وغيرها – مما لا يتسع المقام لذكرها – دعت إلى اختلاف التعبير بين النصين الكريمين. إلا ان هذا كله لا يعني أن لفظ الفعل (انبجس) خاليا من القوة والغزارة، فاللفظة لمجرد سماعها تطبع في الذهن صورةً لتدفق الماء بقوة وغزارة والذي أسهم في إظهار ملامح هذه القوة في هذه المفردة جرس أصواتها التي كانت مناسبة للمعنى إلى حد بعيد، ويتجلى ذلك في تحليل البنية الصوتية لها.

فالهمزة صوت انسدادي، إذ تُسَدُّ عند النطق به فتحة المزمار بحيث لا يُسمَح للهواء المزفور بالمرور من الحنجرة[5]. كما ان النون اللاحقة لها هي الاخرى من الأصوات الانسدادية، فعند النطق بها يلتصق طرف اللسان بأصول الأسنان العليا واللثة فيمنع الهواء من الخروج[6]، وإن هذا الانسداد الذي تكرر مرتين متواليتين يعطيه قوة فيجعل المتلقي يستشعر شدة انحباس الماء في جوف الحجر، فكأنما قد ضاق به.

ثم يأتي بعد هذين الصوتين صوتان انفجاريان متواليان أيضا، وهما الباء والجيم ليعبرا عن شدة الانفجار بعد ضرب الحجر بالعصا فيأتي تدفق الماء ضمن ممرات ضيّقة وهذا الضيق – بطبيعة الحال – يعطيه شدة في الاندفاع تعادل شدة الانحباس.

أما صوت (السين) فقد جاء موازيا في موقعه من هذه اللفظة لصوت (الراء) في الفعل (انفجر).

وبحسب ظني أن الفرق في الدلالة بين الفعلين يمكن في التباين بين صفات هذين الصوتين، فالسين صوت رخو مهموس مرقق، أما الراء فهو صوت تكراري مجهور جاء مفخما في لفظ الفعل المذكور في سورة (البقرة)، ما جعله يكون أكثر ملاءمة لدلالة الفعل على الغزارة في التدفق، كما إن الرخاوة والهمس في صوت السين ناسبا دلالة ضعف التدفق في لفظ الفعل المذكور في سورة (الأعراف).

وفيما تقدم من دراسة تحليلية في بعض ألفاظ غريب القرآن بلحاظ ما توحيه أصواتها من معان، يمكن القول: إن من أبرز ملامح جمالية تلك الألفاظ هو مناسبة أصواتها لمعانيها إذ لا يمكن أن تجد هذه المناسبة العجيبة في نص لغوي آخر غير القرآن

(1) ينظر: غريب زيد 101،وغريب ابن قتيبه 173، والتبيان 171،ومعجم عبد الباقي 11
(2) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصبهاني 58.
(3) ينظر: مجمع البيان 754/4، ومعترك الأقران 87/1، وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي 122.
(4) ينظر: بلاغة الكلمة 125.
(5) ينظر: علم الأصوات العام، بسام بركه 117 .
(6) ينظر: علم الأصوات العام 119.

علم الصوت المرحلة الثانية

صفات الاصوات:

الصفة لغة هي "الحلية والنعت، أما اصطلاحا فهي" كيفية خروج الحرف من الناحية الصوتية كالجهر والهمس وغيرهما؛ أمّا المراد بصفات الأصوات الحالات التي تصاحبها عند النّطق فهي عوارض تعرض للأصوات الواقعة في الحروف من الجهر والرخاوة والهمس والشدّة وأمثال ذلك0

تنقسم الصّفات إلى قسمين: صفات عامّة (التي لها ضدّ) ، وصفات خاصّة (لا ضدّ لها)0

دلالة الأصّوات للصّفات العامّة التي لها ضدّ0

أولا : دلالة أصوات الهمّس والجهر:

يتشكّل الهمس والجهر في أوّل مراحل التكوين الصوتيّ ، فحركة الأوتار الصّوتيّة وتذبذبها بشكل قويّ أو لين له علاقة بهذين الملمحين ، وبناءًا على هذا التّوجه لهذا التخريج ، وجب استقصاء مواطن الدّلالة في أصوات الهمس والجهر.

-أصوات الهمس

المهموس صوت أضعف الاعتماد في موضعه ، يتّسم بالليونة في طبيعته وتكوينه على العكس من الجهر ، فلا اهتزاز معه للأوتار الصوتية ، فالصوت المهموس هو الّذي لايهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النّطق به وممّا تفيده دلالة الهمس من ذلك ماجاء في سورة الشّمس،في قوله تعالى:﴿واللّيل إذا يغشاها﴾0"

فاللّيل يغشى الأرض ، ويضمّ ما فيها ، من الموجودات ويُخفيها "وهو المقرّر في صوت الهاء ، عند طرف الآية ، إذ يوافق ما في الهاء من الهمس والخفاء. وقد تقرّر الخفاء والاستتار في السّورة نفسها ،من قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾"، فإنّ النّفس البشريّة هذه مرتبطة بهذا الوجود ،وهما مشتركان في خفايا وأسرار وهي إحدى الآيات الكبرى ، في هذا الكون المترابط المتناسق ؛ إذ خلق الله عزّوجلّ فيها الخير والشّر ، والهدى والضّلال وأعطاه القدرة الكامنة الخفيّة القادرة على التمييز والتّوجيه "، وينكتنا القرآن الكريم ، بما في سورة الكهف من المظاهر الممتعة في وصف الجنّة وحال أصحابها ما ورد في قوله تعالى:﴿أُولَـٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي

مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [1]"فأغلب الأصوات في الآية مهموسة (الحاء ، والهاء ، والسين المتكررة وأيضًا هي من الحروف الصفيرية)، ليتناسب كلّ ذلك مع وصف حال أهل الجنّة ونعيمها ، وفي تمازج يجلب السمع لهذا الوصف لأهل الجنّة وهم في أجمل وصف وألين حال0

-أصوات الجهر :

الجهر في الأصوات ناتج عن اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازًا منتظمًا يحدث صوتًا موسيقيًا.فالجهر إذا هو ارتفاع في شدّة الصّوت ، فيكون للصّوت المجهور من سمات القوّة وطبيعة التأثير ما لايكون لغيره من الأصوات ، وممّا يفيده الجهر حول التهديد والوعيد ، وهذا يحتاج إلى أصوات ذات وضوح سمعي لغرض التوصيل ودقّة الاسماع ، فمن التهديد ما يدرك في قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدا﴾"فتكرار الأصوات المجهورة (الذال ، والدال ، والراء) ، ذات الوقع القويّ المؤثر لتكشف أبعاد المعنى الغريب ولتَلفِتَ الانتباه إليه لخطورته عليهم ، فارتبطتِ الأصوات المجهورة في مراكز الجملة معنويًا ممثّلة بـــ(الانذار ، والادعاء الكاذب ، اتّخذ ، وولدا) وكلّ هذا في خط متوازٍ ومنسجم مع المعنى الّذي تحمله الآية الكريمة وتزيد طبيعة الأصوات المجهورة من تأثير وقعها على السّامع.

ثانيا: دلالة أصوات الشّدّة والرّخاوة:

- دلالة أصوات الشّدّة (الانفجارية) :

تتغاير المواقف التي يسوقها القرآن الكريم ، فبعضها يحمل دلالة الرأفة فتكون الأصوات رخوة ومناسبة تلتقي مع دلالة الآفاق، وبعضها شديد فيه العنف والشدّة فيختار النّص بُنى صوتيّة شديدة تنسجم مع أفق ذلك المعنى.

الصّوت الإنفجاري ،ويسمّى بالوقفي ، ذلك لانحباس النّفس عند النّطق به، ويصاحبُ خروجه انفتاح المخرج دفعة واحدة ،ممّا يعطي الصّوت قوّة ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [1]"إنّ هذه الأصوات الغالقة ، تدلّ على إحكام الغلق ، الّذي أحكمته امرأة العزيز على الصّديق يوسف عليه السّلام ، بعدما انغلقت نفسها البشرية الشريرة وقتها[1]" وعلّق رمضان عبد التوّاب على هذه الصيغة: " فلو نظرنا مثلاً إلى الآية القرآنية التي تقول :﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ لأحسسنا بصوت المزاليج وهي تحكم رتاج

الأبـواب ، وينعـدم هـذا الإحسـاس مـع الفعـل" أغلـق"الّـذي يـدلّ علـى مجـرد الإغلاق وجاء في الصحاح: "هيت به، وهوت به، أيّ صاح به ودعـاه، وفيـه أيضًـا قولهم: هيت لك، أيّ هلـم لـك وأصـوات الكلمتـين المـوجزتين صـورتًا شـدّة رغبتهـا وخضوعها أمام نزوتها رغم مكانتهـا وجمالهـا وسيادتها ، فالهـاء تُـوحي بالضّـعف والهدوء والخفاء واللّطف ، والياء تُوحي بالانكسـار والذّاتيّـة والذّلـة والخضـوع، إذًا هي بنطقها تشير إلى)تحت(بمقابل ما تشير)الألف(إلى)أعلى (، والتاء تشير إلى الانفتاح المقصود بعد الانكسار والخضوع، فكأّها تقول: كلّ شيء متاح لك ،كما أنّها تشعر بالمباشرة لذا كانت التاء دالّة على الخطاب ، واللام بما فيها من لصوق اللّسان بالحنك عند النّطق بها ، تصوّر رغبتها في القرب الشديد منـه، إضـافة إلـى مـا فـي اللام من معنى التّملك حتّى كأنّهـا ملّكـت نفسـها لـه ، ثـمّ تـأتي الكـاف بمـا فيهـا مـن خاصيّة الاحتكاك، لتُؤكد معنى اللّصوق الّذي تفيده الـلام، وتشـير بسـكونها بـالوقف عليها إلى ختام هذا الخطاب الموجز في هدوء ولطف يتناسب مع الموقف.

وتتابعتِ الحركة مع الأصوات الانفجارية (الشّديدة) لتلاؤم قوّة المعنى وحركتـه فـي قولـه تعـالى :﴿ إِذَا السَّـمَاءُ انفَطَـرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِـبُ انتَثَـرَتْ وَإِذَا الْبِحَـارُ فُجِّـرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ يَا أَيُّهَا الْإِنسَـانُ مَـا غَـرَّكَ بِرَبِّـكَ الْكَـرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ إنّ هذا الإنسان الّذي يحسب أنّ كرم ربّه قد توقّف إلاّ أنّه سرعان مـا يجـده شاخصًـا أمامـه ، وهـو يجحـد هـذا ، ويحرم نفسه من التّمتع في رحـاب هـذا الكـرم "والمتأمـل يـرى فـي هـذه الآيـات أنّ أصوات الانفجار ، قد وقعت ما في معنى الانحبـاس والانقطـاع والتوقّـف، ولاسـيما التاء.

وجاء أيضًا في معنـى الطّلاقـة الّـذي تمثلـه الفـاء،في قولـه تعـالى :﴿وَالْمُرْسَـلَاتِ عُرْفًـا فَالْعَاصِـفَاتِ عَصْـفًا)إذ افتـتح التعبيـر القرآنـي فـي السّـورة بالقسـم بالملائكـة المعروفين عند خلقه ، وبالرّياح القويّة التي يتوقّـف عصـفها ويتبـيّن أنّ المقسـم بهـم أوقعُ هولاً على النّاس لخلقتهم التي لاحدود لها ، وإنّما أراد الله عزّوجلّ التهديد بلفظ "عرفًـا "و"عصـفًا "إذ إنّ عصـف الرّيـاح أشـدّ علـى النّـاس تهديـدًا بعـد الملائكـة ، والملاحظ زيادة معنى التهويل والاستطاعة ، في الآيتيـين وهـو المتمثّـل أساسًـا فـي الفاء ذات النّفخ .وتمثّله أيضًا في قوله تعالى:﴿وَجَنَّـات أَلْفَافَ﴾ [1]"إذ هي جنّات الآخرة كثيفة الشّجر ذات الأغصـان الملتفّة ، كثرةً وتشعبًا وشساعةً وانتشارًا ،انتشار الـنّفس عند مخرج الفاء0

ويطلعنا القرآن الكريم في آية آخر قوله تعالى : ﴿فإذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الكُبرَى﴾ [1]"إنّ صوت الطاء والميم المجهورين الشديدين الواردين في لفظة الطّامة الدّالة على يوم القيامة يعبّر عن هول ذلك اليوم، وتشعرنا بحركة الطّم المناسب لهول وقوّة وشدّة يوم القيامة ، ونكاد نشعر بدويّ وطنين فكانت الأصوات معبّرة بايحاءاتها عن تلك الصورة المروعة.

-دلالة أصوات الرّخاوة:

الرخاوة :صفة الأصوات التي يجري معها النّفس عند النطق بها ويدلُّ أصله اللُّغويُّ على اللِّين والسهولة والاتِّساع، من ذلك قوله تعالى : ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ أيّ: حرّكي. والعرب تقول: هزّه وهزّ به إذا حرّكه... و إنّما عدّاه بالباء لأنّ في هزّي معنى جُرّي.. ويستعار فيقال: هززتُ الشيء هزًّا فاهتزّ أي: حرّكته فتحرّك.. الهزّ في الأصل: الحركة، واهتزّ إذا تحرّك فاستعمله على معنى الارتياح أيّ: ارتاح.. وكلّ من خفّ لأمر وارتاح له فقد اهتزّ له... و أخذته لذلك الأمر هِزّة أيّ: أريحيّة وحركة)."وهزي إليك (يعني : حرّكي بجذع النخلة" ،إذ يوحي السّياق باللّين والحنان لطفًا وتحننًا على مريم بنت عمران حين أتاها الطلق وضاقت ذرعًا ، فكان الهاء في لفظة (هزّي) موائمًا لايحاءات النّص ودلالة العطف والرّقة بحالها."

ثالثا : دلالة أصوات الاطباق والانفتاح:

-دلالة أصوات الاطباق:

الاطباق :"أن يرتفع مؤخر اللّسان نحو أقصى الحنك الأعلى في شكل مقعّر على هيئة ملعقة بينما يكون طرفه ملتحمًا مع جزء آخر من أجزاء الفم مشكلاً محبسًا من المحابس الصوتيّة المختلفة." وفي معنى الاطباق ما جاء في سورة الأنبياء قوله تعالى:﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ "وفي الآية الكريمة يظهر النّبي الكريم عليه السّلام في قمّة ظلمة القلب واسوداده ، ولعلّه المعبّر عنه بالغضب، وصوت الضّاد أوقع من صوت الطّاء ههنا ، لذا تقدّمه في التعبير القرآني هذا وتظهر ظلمة الظّن والرّيبة اللّذين كان الغضب سببًا فيهما ، لذا تقدّم عليها كما يصوّر القرآن الكريم ذلك الظّلام المحكم بعد إحكام ظلام الغضب ، فانتبه يونس عليه السّلام أنّه كان من الظالمين، الّذين جانبوا الهدى ،وهو نقيضُ الظّلام والظّلم."

ومعنى الاطباق أيضًا ماجاء في سورة البقرة ، قوله تعالى:﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّـهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّـهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾["فالمتأمل في المفردات الضّامة للأصوات المطبقة ، يرى تلك الإيحاءات التي تشير إلى معنى الشّدّ، في إحكام النّار وسيطرتها في عمل الإضاءة ، واطباق الظّلام الدّامس بعد ذلك على عمل الأبصار" ،كتلك التي في" صيّب "وهو المطر النّازل من السّحاب الّذي يسدّ السّماء "إلى معنى السّتر والاظلام ،وفي مفردة" ظلمات" والإغلاق في" أصابهم" في إشارة مجازية مُرسلة "،أو معنى الاغشاء والامالة في "الصّواعق"إذ تضع حدًّا لأمن النّاس وإزعاجهم بصوت الرّعود الهادرة أو أنْ تغشيهم أو أنْ تميتهم "وكلّها تصّبُ في معنى الحدِّ من الشيء والاطباق عليه . ومن ثمّ يتبيّن أنّ هذه الأصوات في هذا التركيب القرآني ، متمايزة من حيث قوّتها، وتبيّن قوّة صوت الصّاد التي كانت للإضاءة على أخواتها ههنا ، متبوعة بصوت بالظّاء التي كانت للإظلام ، ثمّ صوت الصّاد التي كانت للإبصار المفقودة نتيجة الظلمة المطبقة على هؤلاء.

-دلالة أصوات الانفتاح:

الانفتاح هو وضع اللّسان عند النّطق ببعض الأصوات ، حيث ينفتح ما بين اللّسان والحنك الأعلى ويخرج الهواء من بينهما ، وتكون النقطة الأماميّة من اللّسان مخرج الصّوت"،ويدلُّ أصله اللُّغويّ على خلاف الإغلاق .ومعنى الانفتاح ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾"فكلمة) فتحنا(تبدأ بثلاث فتحات متوالية ، تنسجم تمامًا مع فعلِ فتحِ أبواب السّماء ، ويقوّي الإحساس بفعل الفتح انتهاء هذه الكلمة بفتحة رابعة مختومة بحرف مدٍّ منفصل ، بمدّ بمقدار أربع أو خمس حركات"،يوحي بمقدار ذلك الفتح الّذي وسع السّماء كلّها ، وتختم كلمة)السّماء (بحرف مكسور إيذانًا بنزول الماء منها ، لتتولى بعدها حركة الكسر في كلمتي)بماء منهمر(وتختمان بها ويوحي الكسر في نهاية الكلمتين الأخرتين من شدّة الانهيار.

وجاء في الفتح ما يُجلي أيّ شكّ في قوله تعالى:﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ "فتح مكّة دون قتال أنّها بشرى بسهولة الفتح ، سهولة صوت الفاء ، وعظمة الاتّساع، اتّساع صوت الفاء،عند مخرجها ،كما هي بشرى لاتّساع السلطان ، ويُسر المهمّة.

رابعا : دلالة أصوات الاستعلاء والاستفال

-دلالة أصوات الاستعلاء:

الاستعلاء أن يستعليَ أقصى اللّسان عند النّطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى[1]"،ويتّضح الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾" هذا الابن العاص الذّي جلب له القرآن الكريم التعابير الدّالة على استعلاء كبريائه ، فعبّر عنه بقوله)سَآوِي (بدلاً من) سأذهب(، وعبّر عن ظنّه القاصر ،بقوله: ﴿ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي﴾، فعلى الرغم من علوّ هذا الجبل العاصم ، إلاّ أنّ الموج عالا على هذا الابن المستعلي المتكبّر ، وهو ما تؤكده الفاصلة في" المغرقين"الضّامة للغين والقاف المستعليتين اللّذين عالا همز المأوى ، وجيم الجبل ،وجيم الموج ذاته.ويظهر استعلاء الموج على المستعلين المتكبرين من آل فرعون ، الّذين أغرقهم الله عزّوجلّ في اليمّ ، وجاء في حكاية صوتيّة عن هذا في قوله تعالى :﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[2]"إذ يتّضح علوّ الموج دون أدنى تفسير لذلك بالنظر إلى خصائص الغين الصوتية ، وتتبيّن قوّة الخالق عزّوجلّ في قهر الطُغاة ، وأخذهم أخذا عزيزا0

ويطلعنا القرآن الكريم في سورة فاطر:﴿ هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[3]"نقف عند كلمة" يصطرخون" الصراخ : الصوت الشديد [4]"أمّا الاصْطراخ : الصياح والنداء والاستغاثة، افتعال من الصراخ قلبت التاء طاءً لأجل الصاد الساكنة قبلها ، وإنّما نفعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والاطباق ، ويوافق التاء في المخرج .[5]"وتوحي بأنّ الصُراخ قد بلغ ذروته في شدّة إطباقه ، وتراصف إيقاعه من توالي الصّاد والطّاء[6]"،وقد تجمعت فيها من أصوات الاستعلاء : الصّاد والطّاء والخاء ،ممّا يُعطي للّفظة ضخامة كضخامة الأهوال في النّار ،وختمت بالواو والنون اللّذين يعطيان للّفظة دويًّا ، وهذا الانسجام مع الأصوات المضطربة المتتالية المدوية للمعذبين.

وقوله تعالى : ﴿ وهُمْ يَصْطَرِخُونَ ﴾ أبلغ من) يصرخون (؛ للإشارة إلى أنّهم يصرخون صُراخًا منكرًا خارجًا عن الحدِّ المعتاد."

وممّا جاء أيضًا في الكتاب العزيز قول المولى تبارك وتعالى :﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [1]"إذ تتّضح معاني الخيلاء والتّكبّر للإنسان المرح ، وقد عقد البيان القرآني وجه القرآن بينه وبين الجبل الّذي يمتدّ طول خَرْقِهِ لباطن الأرض أضعاف طوله فوق ظهرها ، إلاّ أنّه يظلّ هادئًا مستقرّا لا يتزعزع."

ومثله ما جاء في سورة البقرة قوله تعالى : ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّـهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّـهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1]"إذ وافقت سين "يبصط" الضّادات والطّاء صوتياً ودلاليًا فالقرض الصّدقة ، وهي من الصّدق والإخلاص أعظم ما يمتحن فيه المؤمن ، القبض المنع في الرّزق وهو عند الله تعالى أوثق من القيد إن شاء ،والبسط والسّعة في المال على من يشاء من عباده في الدنيا إلاّ أن الآكد أن ليس كمثله شيء علوًّا ،وكبرياءً وجبروتًا، فعلاً سخاءً أكبر وأوسع من قرض عباده وكان منعه كذلك.]"

-دلالة أصوات الإستفال:

الاستفال :]هوانحطاط أقصى اللّسان أو انخفاظه عن الحنك الأعلى عند النّطق بالحرف ، فينخفض معه الصّوت إلى قاع الفم على هيئة مخارج الحروف المخصّصة للاستفال ويدلُّ أصلُها اللُّغويُّ على نزولِ شيءٍ واستقرارِهِ قرارَهُ وما يدلّ على الإستفال ما جاء في سورة مريم ، قوله تعالى:﴿كهيعص ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾]"إذ تمثّل الأصوات المستفيلة ، تلك المسحة المشفقة ، وذلك التّحنّن نتيجة ذلك الدّعاء الملحّ، فكانت الياء رأس هذه الأصوات للدّلالة على ذلك ، بإحداث النّغم الرّخي الّذي صحب آي السّرد.]"

وجاءت معاني الأصوات المستفلة للرّحمة ، فمن ذاك ما كان قصّه القرآن الكريم عن موسى عليه السّلام وفتاه يوشع بن نون عليه السّلام من قوله جلاّ جلاله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾]"جاء التّعبير القرآني بلفظ" لفتاه" بدلاً عن خادمه ،فأنزل نفسه منزلة هذا الخادم رحمة به ،ولعلّ ما يفسّر ذلك السموّ نفساً في الفاء صوتاً ،ومقابلة التّواضع في الفاء المستفل0

خامسًا: دلالة أصوات الاذلاق والاصمات:

دلالة أصوات الاذلاق:

الذّلاقة:[1]" هي الاعتماد على ذلق اللّسان والشّفة عند النّطق بالحرف[1]" ، وهي سرعة النّطق بالحرف وخفّته لخروجه من طرف اللّسان، ومن المواقف التي تظهر فيها صعوبة ويأس يلازمان من يقع في مثل حال الكافر المنكر لفضل الله ، فمثل ذلك يظهر في قوله تعالى :﴿أَو يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبا﴾[1]"فالآية المباركة توحي أنّ حسن هؤلاء المتعالين على أن يكونوا عبادًا لله المعبود الخارجين عن حكمه الّذي ارتضاه لهم ، أولئك كان عقابهم بأن أغور ماءهم لغورهم عنه عزّوجلّ وسلبهم سبل إخراج الماء وطلبه[1]"

-دلالة أصوات الإصمات:

الاصمات:[1]"هو ثقل الحرف عند النّطق به لخروجه بعيدًا عن طرف اللّسان والشّفتين[1]"، والاصمات من صفات قوّة الحرف .[1]"وسُمِّيت الأُخَرُ مصمتةً؛ لأنَّها أُصمِتتْ أن تختصَّ بالحروفِ إذا كَثُرت حروفه لاعتياصِها على اللِّسان ومن ذلك قوله:﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ،لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ،فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [1]"قال ابنُ منظور الزقوم ، طعامُ أَهلِ النار، والزّقوم كلُّ طعام ثقيل. الزقمةُ الطاعون. والزقّوم فَعُّول، من الزقم واللقم الشديد، والشراب المفرط. وقد تكون عدم استساغة هذا الأكل لا غبار عليها، لما في لفظة الزقّوم من تركيب تقشعرُّ منه الأبدان[1]"قال الرازي" : إنَّ القاف مع كلِّ حرفٍ من الحرفين الباقيين يدلُّ على المكروه في أَكثر الأَمر. فالقاف مع الميم قمامةُ وقمقمة وبالعكس مقامق الغليظ الصوت. والقمقمة هو السور، وأَما القافُ مع الزاي: الزق، رمى الطائر بذرقه، والزقزقة الخفّة وبالعكس، القزنوب فينفرُ الطبعُ من تركيب الكلمة من حروف اجتماعها دليل الكراهة والقبح، ثُمَّ قُرِنَ بالأَكل فدلَّ على أَنَّه طعامُ ذو غُصّةٍ"

<u>دلالة الأصّوات للصّفات الخاصّة التي لا ضدّ لها</u>

أمّا الصفات الخاصّة ،وهي : الصّفير ، والتّفشي ، الانحراف، و الغنّة ، و التّكرار ، و القلقلة ، والخفاء.

أولاً: دلالة أصوات الصّفير:

الصّفير : [1]حدّة الصّوت" وصفت به الأصوات لأنّها تصدر عند النّطق بها شبه الصّفير" وعرَّف مكيٌّ الصَّفير بقوله:" وحقيقة الصَّفير: أنَّه اللَّفظُ الذي يَخرُجُ بقوَّةٍ مع الرِّيح من طرفِ اللِّسان ممَّا بين الثنايا تَسْمَع له حسّاً ظاهراً في السَّمع".وقيل

"إنّ الصّفير من الأصوات الاحتكاكية]"فالصّفير صفة قوّة في الصّوت لا يشركها في نسبته غيرها من الأصوات"ذكَر الجاحظُ أنَّ الصَّفير قد يكون من عيوب النُّطق إذا خرَج نتيجة كسرٍ في الأسنان أو فُرَجٍ فيها أدَّى إلى اندفاع الصَّفير مع كلِّ الحروف، قال:"وقال خلادُ بنُ يزيد الأرعط: خَطَبَ الجُمَحِيُّ خطبةَ نِكاحٍ أصابَ فيها معاني الكَلام، وكانَ في كلامِه صفيرٌ يَخْرُجُ من مَوضِعِ ثَنَايَاهُ المَنزوعةِ، فأجَابه زيدُ بنُ عليِّ بنِ الحسين بكلامٍ في جَودَةِ كلامِهِ، إلاَّ أنّه فَضَلَهُ بحُسنِ المخرجِ والسَّلاَمةِ من الصَّفير"

تبيّن علاقة الأصوات الصّفيريّة مع المعنى،في قوله تعالى :﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾]"لحروف الصّفيريّة في الآية (الشّين،والزاي،والسين)، تشكّل محور ربط مع العناصر الرئيسية في العبارة.فالسين في" شركاء"ذات ملح فيه تفشّ وصفير ، وهذا حال مَن ادّعى مع الله شريكًا ، فهو على غير بيّنة مُهتزّ مُشتت الفكر ، ولذا جاء التّعبير بلفظ "زغتم"، يبدأ الثبات ، فيظهر الانسجام العميق بين اللّفظ والمعنى.

ولعلّ هذا الأمر يصدقُ أيضًا في قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾]"معنى (عسعس اللّيل) :أقبل أو أدبر بظلامه.(عسعس) في اللّغة : من (عسَّ ، يَعُسُّ ، عَسًّا) أيّ:طاف باللّيل،و(عسعس اللّيل عسعسه):هو إقباله،وقيل:هو إدباره]" إذ جسم جرس السين الحركة و إيقاعها يوحي بحركة اللّيل و هو يعسّ في الظلام والخفاء ،كما يعسّ الماشي ويطوف في اللّيل تارة بيده و أخرى برجله ، وهو إيحاء بالجرس المؤدي للمعنى. أمّا جرس السين في لفظة" تنفّس" فإنّه يُوحي بالرقّة والسلاسة الملائمة لرقّة الصّبح ونداوته ، وحركة انقلاب الصّبح بعد ظلمة اللّيل]"حيث التّنفّس يشير إلى بداية الصّبح ، "وعسعس"يشير إلى إقبال الظّلام]"فلفظة" تنفّس "توحي إلى استراحة(الصّبح) بعد عنائه في إزالة اللّيل، إذ تحمل إيقاعًا هادءًا يتغلغل في النّفس، ويرفعها إلى مستوى كائنات الطبيعة ، وهي تفوح بالرّوح والنّسيم ،لتدع المخيّلة تتصوّر قوله تعالى :﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾"وكأنّ غمامة سوداء تطايرت واقشعرّت ، ليحلّ محلّها النّور]"

وينكتنا القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾] فلفظة "صرصر "وصف مخصوص بالرّيح المرسلة للعذاب ، وقد اختير لها وصفًا لما فيه من امتداد الصّوت وتكريره وترجيعه]" ،والرّيح صّرصر ، أيّ : باردة ،و"الصّرصر "هي الرّيح المدمّرة.]"فصوت الصّاد بصفيره ، مجتمعًا مع الرّاء

المتكرّرة ، ولّد تقطيعًا صوتيًّا يُوحي بشدّة الرّيح وتلاحقها وطول زمنها، وكأنّ اصطكاك الأسنان في نطق الصّاد مع ذبذبات نطق الرّاء ، يُولّد صفيرًا ودويًّا يُشبه صوت الرّيح.]"

وتدلّ نصاعة صوت الصّاد ونقائه على القوّة والمكُنة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾]"إذ يتضامن الفرد و الجماعة عند القتال في سبيله ، داخل الصّفّ المتين المكين قتال فيه صمود و ثبات يشدّ أصحابه بعضهم بعضًا ، و تُرَصُّ لبنات بنائه رصًّا يصدّ أيّ اعتداء على حرمة المسلمين.]" فاللّفظتان"صفًا "و" مرصوص "المؤشر الرئيسي في الدّلالة على معنى الثّبات و الصّمود ، فالصّاد هنا حرف احتكاكي]"، وأندى في السّمع ، لذلك فصوت الصّاد يَصلح لمحاكات الأصوات الطبيعية.

ثانيًا :دلالة أصوات التّفشّي:

التّفشّي هو صفة خاصّة بصوت الشين في العربيّة ، وعند النّطق بهذا الصّوت يتفشّى الهواء وينتشر داخل الفم و خارجه" سُمِّيتْ بذلك؛ لأنَّها تَفَشَّتْ في مخرجِها عند النُّطقِ بها حتى اتَّصَلَتْ بمخرجِ الطاءِ ومعنى التفشّي: هو كثرةُ انتشارِ خُروج الرّيح بين اللِّسانِ والحنكِ وانبساطِه في الخروجِ عند النُّطق بها.]"و ممّا جاء في حالة التّفشّي قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾]"إذ تظهر الآية الكريمة ، تماوجُ النّاس عند خروجهم من الأجدَاث ، يحول بعضهم في بعض على كثرتهم مثل الجراد المتطاير في الأجواء ، منتشرًا أسرابًا في كلّ مكان ، في هذه الأجواء]" "

وقد برزت أيضًا صفة التّفشّي في سورة الواقعة في قوله عزّ و جلّ:﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴾.]"إنّ تكرار حرف الشين أربع مرات في الآيات يكشف لنا عن حالة العذاب والجزاء التي ألمّت بالكفّار يقول الشّيخ العلاّمة الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير لهذه الآيات":شجر الزّقوم :"من شجر العذاب ،و الحميم : الماء الشّديد الغليان ،والمقصود من قوله تعالى :﴿ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ تفظيع حالهم في جزائهم على ما كانوا عليه من ترف في الدنيا بملْء بطونهم بالطعام والشّراب ملئًا أنسَاهم إقبالهم عليه و شربهم من التفكّر في مصيرهم ، وقد زيد تفظيعًا في التّشبّه في قوله :﴿فشَارِبُون شُربَ الهِيم﴾ ، وإعادة فعل) شاربون (لتأكيد و تكرير استحضار تلك السّورة الفظيعة أيّ يشربون هذا الماء المحُرق مع ما طعموه من شجر

الزقوم .]"فيحضر صوت الشّين بجرْسه الصّوتي الرّائع والمميّز ليُصّور لنا تفشّي ذلك الجزاء ووقعه.

وجاء في ذات الباب في سورة القارعة قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾.]"إذ تكرّر كلّ من الشّين والثّاء بما فيهما من الاستثار والتّفشّي فناسب الجوّ العام لسيّاق هذا المشهد ، وهو صورة من الانقلاب الكوّني الّذي يصبح فيه النّاس كالفراش المتطاير هنا وهناك، يتخبّط النّاس فيه تخبّطًا عشوائيًا ، وتكون الجبال كالصّوف المبعثر خفّة وتطاير.

ثالثًا : دلالة أصوات الانحراف.

-الانحراف : هو الميلُ بالحرف عن مخرجه عند النّطق به حتّى يصل بمخرج ، وله حرفان هما اللام والرّاء ويُسميان مُنحرفين لميلهما عن مخرجيهما عند النّطق بهما إلى غيرهما من المخارج]"وهذا ما اتّضح في قوله تعالى:﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ فلفظة" بعض "كما تحدّدها المعاجم اللّغوية: الشّدُّ بالأسنان على الشيْء وإنّ ممّا يبعث على "العضّ "الندم و التحسّر ،والعضّ يحدث في النّفس ألماً و جرحًا ، فناسبه قوله تعالى : ﴿ياليتني﴾ .لأنّ التحسّر يبعث على التمنّي المشُوب بالفوات.]"

رابعًا : دلالة أصوات الغنّة:

الغنّة الصّوت الزّائد على جسم الميم و النون ، منبعث عن الخيشوم المركّب فوق غار الحلق الأعلى .]"قال القرطبيُّ :"وأمَّا حروفُ الغُنَّةِ فالنُّونُ ساكنةً ومتحرّكةً، والميمُ، إلاَّ أنَّ الميمَ أقوى من النُّونِ؛ لأنَّ لَفظَها لا يَزولُ، ولفظُ النُّونِ قد يزولُ عنها، فلا يَبْقى مِنها إلا غُنَّة، وكذلك لم تُدغَم الميمُ في النُّون0 و قد جاء في مقام الحزن ممّا اقترن بالغنّة ، وصوت المدّ عند أطراف الآية الكريمة قوله تعالى﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾ .]"إذ تُوحي الغنّة في الآية إلى حزن هؤلاء الصّحابة رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وأساهم وإيلامهم الدّفيين الشّديدين لقعودهم عن الجهاد كراهةً وقهرًا،إذ لم يجدوا ما ينفقون للخروج إليه]"فأنينُ النّون الأغنّ تحسّه عند فاصلة الآية.

وجاء تطابق الغنّة في سورة مريم ، قول المولى تبارك وتعالى :﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ

أَمْـرًا فَإِنَّمَـا يَقُـولُ لَـهُ كُـن فَيَكُـونُ وَإِنَّ اللَّـهَ رَبِّـي وَرَبُّكُـمْ فَاعْبُـدُوهُ هَـٰذَا صِـرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَـٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَإِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾["فالنّون والميم هما ما يعطيان للنّغم الموسيقيّ وقعًا.

ويطلعنا القرآن الكريم في سورة النحل قول المولى تبارك وتعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾.]"إذ تبيّن الآية المباركة هؤلاء القوم وما أصابهم من الغمّ والهمّ بسبب ما رزقهم الله تعالى من البنات.ويظهر صوت الميم الأغنّ ، أنين الرجل الّذي انعكس ما بداخله على الوجه ، فاسودّ وأكفهرّ]"وجاءت كلمة " يتوارى" تبين أنّ هذا الرجل يصارع ، لأن يخفيَ ما نزل به من غمّ ، ممّا يعتقد أنّه فاضحه؛ وهو ما تومئ إليه﴿ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾حيرة بعد الفضيحة ، أيحفظها على كراهة وغبن ، وهمّ وهون ، أو يدفنها حية ؟.]"

خامسًا : دلالة أصوات التّكرار

التّكرار)]التكرير: (هو اهتزاز أسلة اللّسان عند النّطق بالصّوت]" ولايمكن أو يتولّد الصّوت إلاّ بهذا التّكرار].ويعدّ التّكرار صفة خاصّة بحرف الرّاء]" ،لأنّ التقاء طرف اللّسان بحافة الحنك ممّا يلي الثنايا العليا يتكرّار في النّطق بها كأنّما ، يطرق طرف اللّسان حافة الحنك طرقًا ليناً يسيرًا مرتين أو ثلاث لتتكون الراء العربية]" التي تتكرر بدون انقطاع بل تجري مجرى الحرف الواحد .]"قال مكيٌّ":والرَّاءُ حرفٌ قويٌّ للتكرير الذي فيه... يَجري معه النَّفَسُ لانحرافِه إلى اللاَّمِ، وللتكريرِ الذي فيه، فذلك قَذْرُ الرَّخاوةِ التي فيه... والتكريرُ: هو ارتعاد طرفِ اللِّسان بالرَّاء مُكَرِّراً لها، فإخفاء ذلك التكرير لا بدَّ منه...وإذا تكرَّرت الرَّاءُ، والأولى مشدَّدة أو مخفَّفة وجَبَ التحفُّظُ على إظهارهما وإخفاءِ التكرير.]"

يتّخذ النّظم القرآني أحيانًا من الصّوت المتكرّر وسيلة لتصوير المعنى وتجسيمه ، والايحاء بما يدلّ عليه ، معتمدًا في ذلك على ما تتمتّع به الأصوات من خصائص وصفات في الجرس والنغم ، فهي تشيع بجرسها الصّوتيّ نغمًا يُسهم في إبراز المعى المُراد. لنتأمل النغم المنبعث من الجرس الصّوتيّ لحرف السين في قوله

تعـالى : ﴿قُـلْ أَعُـوذُ بِـرَبِّ النَّـاسِ مَلِـكِ النَّـاسِ إِلَـٰهِ النَّـاسِ مِـن شَـرِّ الْوَسْـوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِمِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾.]"

فحـرف السـين الّـذي تكـرّر فـي هـذه السّـورة ، صـوت صـامتٌ مهمـوس لثـويٌّ]"احتكاكيّ، تلتقي الأسنان السفلى بالأسنان العليا عند النطق بـه ولا يمكـن للإنسـان أن ينطقَ به وهو مفتوح الفم ، وهو أدلّ بجرسه الصّـوتيّ الاحتكـاكيّ الهـامس علـى تصوير حالة الهمس الخفيّ التي يخافت بها أهـل الجـرائم والمكائـد ، وبـذلك يصـوّر جرس الأصوات جوّ الوسوسة وما يفعله الشيطان حـين يلقـي فـي روع الإنسـان مـا يزين له ارتكاب المعاصي ، وقد أسهم صوت الصاد الّـذي يشـبه صـوت السـين فـي صفته وجرسه على زيادة النغم الموحي بالمعنى.]"

تكثر مطابقة دلالة التّكرار ، لما يوافق معناه ، وهو ما يوحيه صوت الرّاء المكرّر ، ومن ذاك قول المولى عزّوجلّ في سورة فصّلت : ﴿فَأَرْسَـلْنَا عَلَـيْهِمْ رِيحًـا صَرْصَـرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾] "إذ دلّ تكرار الرّاء على مـا تتسـبب بـه الـرّيح البـاردة مـن أذى نفسي وجسدي]"، فكان التّكرار وظيفة معنويّة تعبيريّة ودلّت إيقاعاته على ما ناسب السّياق من هول وشدّة في العذاب.

وجـاء أيضـافي قولـه تعـالى:﴿بَـلْ كَـذَّبُوا بِالسَّـاعَةِ وَأَعْتَـدْنَا لِمَـن كَـذَّبَ بِالسَّـاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِـدًا وَادْعُـوا ثُبُـورًا كَثِيـرًا ﴾]" إذ تصوّر الآي مشهدًا للقيامة وتعظم هوله ،الّذي ينتظر المُغـالين المكـذّبين،نارلايتوقّف اشتعالها ولايهدأ تغيّظها ولايُكتَم زفيرها، وتصوّر حـال هـؤلاء وهـم يـردّدون طلـب الإهلاك ويكررونه لعلّه ينقذهم من هذا البلاء النّازل بهم فيجـاب علـيهم بـأن يزيـدوا في ذلك قدر تكرارهم عمل المنكر.]"

ونظيره ماجاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انكَـدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَـالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُـوسُ زُوِّجَتْـوَإِذَا الْمَـوْءُودَةُ سُـئِلَتْ بِـأَيِّ ذَنـبٍ قُتِلَـتْ وَإِذَا الصُّـحُفُ نُشِـرَتْ وَإِذَا السَّـمَاءُ كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾] "هذه الآيات تتحدّث عن الأهوال العظيمة ليوم القيامة ،فالشّـمس التـي لُفـت كمـا تُلـفّ العمامـة وتجمـع ويـذهب ضـوءها ويُرمـى بهـا فتسقط]"،والنجوم التي تناثرت وتهافت وسقطت ، والجبال التي أزيلت عن أماكنها من الأرض وسيرت في الهواء.]"والوحوش التي تجمع من كل جانب ،والبحار التي فاضت وقد أفضى بعضها إلى بعض فصـارت بحـرًا واحـدًا ،وجُعلـت مياهـا نيـرًا يعذّب أهل النّار بها]" ، والصّـحف التـي تنشـر فيعطـى كـلّ إنسـان كتابـه بيمينـه أو

شماله على قدر عمله.]"فهذه التّحركات المستمرّة العجيبة التي ستحدث للكون تثير في النّفس الهلع ولاسيما إذا شاهدها الإنسان بنفسه ، وفي هذا تناسب رائع مع صفة حرف الرّاء الّذي تتابع في نقطه طرقات اللّسان على اللثّة تتابعًا سريعًا يصوّر إبداع تصوير هذه الأحداث والحركات المستمرّة في الكون ، يساعد في ذلك صوت التّاء الّذي تكرّر عدّة مرّات ، ومناسبته تأتي من صفته الانفجاريّة وذلك بسبب اتّصال أوّل اللّسان بأصول الثنايا اتّصالاً تامًا لايسمح للهواء بالمرور ثمّ ينفصل فهو صوت انفجاريّ شديد.

سادسًا : دلالة أصوات القلقلة:

القلقلة :اضطراب اللّسان عند النّطق بالحرف حتّى يسمع له نبرة قوّية خصوصًا إذا كان ساكنًا وحروفها خمسة مجموعة في (قطب جد)ويقابلها عند المحدثين ما يُسمّى بالانفجار ، وتُسمّى مُقلقلة لاضطراب اللّسان في الظّم عند النُّطق بها حتّى يسمع له نبرة قوّية دون غيرها من الحروف .[1]" وهي حروف مُشْربةٌ في مخارجها إلاّ أنّها تُضغط ضغطاً شديداً، فإنَّ لها أصواتاً كالحركات، تتقلقل عند خروجها أي تضطرب، ولهذا سمّيت حروف القلقلة.[1]"

إنّ سماع النّبرة القوّية الناتجة عن اضطراب القلقلة عند مخارجها حين النّطق بها ، يُوحي إلى مواطن الدّلالة ، ويتّضح هذا في قوله تعالى : ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾["لم يكتفِ هؤلاء القوم بتعبير الدّمع فيطمعون وكلّهم ثقة ، أنْ ينهلوا من الحقّ ، إيمانًا به ، وإذعانًا بسلطانه بنبرة قويّة عميقة صريحة مشفقة راجيّة من ربّها أن يدخلها في الصالحين]" ، ويتراءى أنّ القلقلة ، قد وافقت موقف صلابة الإيمان بمعرفة الحقّ.

وجاء وقع القلقلة أيضًا في قوله تعالى: ﴿وجَاءَت سَكْرَةُ المَوتِ بالحَقّ﴾["إذ تدلّ الآية الكريمة على أنّ الموتَ وهو لها ، من نزعاتها وشهقاتها ، وسعادتها ،وشقائها أقوى من مشاهد الكون والبعث وغيرها]" ، إذ تظهر قوّة القلقلة في هذه الآية ، وقد خدمت الجيم الشّدّة والصّلابة في قلقلتها.

وينكتنا القرآن العظيم ماجاء في قول المولى تبارك وتعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ

الْحَرِيقِ ﴾] "قد ابتدأت السّورة الكريمة بالقسم وأبراجها ويوم القيامة ، فهي أيّام استعرض فيها جانبًا من حال هؤلاء المؤمنين حين الامتحان الأكبروشهادة الله عزّوجلّ في ذلك.]"

وتبيّن من خلال هذه السّورة توافر القوّة في صوت القاف،وهو أصل القلقلة ، الّذي ضمّته الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ أيّ أحرقوا المؤمنين والمؤمنات، يُقال فتنت الشيء ، أحرقته ، والفَتِينُ حجارة سُودٌ كأنّها مُحْرَقَةٌ]"

ولكن لابدّ أن يكون الجزاء من جنس العمل ، إذ قابل التعبير القرآني حرق أصحاب الأخدود الّذي هو من عمل الخلق ،بحريق جهنّم ، وهو ومن الخالق ،ولا وجه للمقارنة ،كما أنّ عذاب الفتنة عند هؤلاء القوم أقلّ حدّة ، من عذاب إحراقهم المؤمنين .]"لذا كانت القاف أكثر دلالة على القرع والعِقاب فأُخِّرَ عند طرف الآية.

ومثيله ماجاء في سورة المسد ، قوله تبارك تعالى :﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾] "إذ توالت الفواصل الأولى بالباء صوتًا لها ، والتي تُوحي إلى ذلك الشّدّ ، و ذلك التّعنيف شبيه بشدّة تبات أبي لهب ، الّذي جمع المال والكسب.

أوشدّة اللّهب الملقى في طريق النبي صلى الله عليه وسلّم الّذي كان يحرّضان النّاس عليها ، أوشدّة لهب جهنّم و مصيرها ، أو شدّة الحطب الّذي كانت تحمله أم جميل .]"و لكن صوت الفاصلة الأخيرة خالف الأول ،ولم يكن للتّعبير القرآني ليغيّر النّغم ، بتغيير صوت الفاصلة ، دون أن يكون هناك مؤشّر الدّلالة ،فالدّال عند رأس الآية الأخيرة يُوحي إلى أنّ الشدّ أوقع عذابًا على أمّ جميل أكثر من بَعلِها لأنّها رأس الفتنة لذا بلغ القرع منتهاه.]"

وجاء في سورة الانشقاق قول تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾.]"

الشفق : هو الحمرة التي تشاهد في الأفق الغربي بعد الغروب، وأصله رقّة الشيء ، ويقال ثوب شفق : أيّ لايتماسك لرقته ، ومنه أشفق عليه : أيّ رقّ له قلبه]"، ووسق : جمع ، واتّسق : استوى ، وطبقًا عن طبق : حال عن حال.]"

وقد جيء بصوت القاف وهو صوت شديد مقلق،في معرض القسم بمظاهر كونية على تقلب الإنسان في أحوال شتى،وانتقاله من حال إلى حال،واضطراب القاف

وتقلقله فيه دلالة التقلب في هذه الكائنات ومنها الإنسان،وبتحول النّاس بعد الموت إلى حين مصيرهم،إمّاإلى الجنّة وإمّاإلى النّار.]"

سابعًا : دلالة أصوات الإخفاء.

الإخفاء : هو النّطق بالصّوت بصفة بين الإظهار والإدغام عار عن التشديد مع بقاء الغنّة في الصّوت الأوّل.]"

فمن ذلك لفظة) وسوَسَ (في قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا ﴾]"إذ قال أبو السعود : " أيّ : فعلَ الوسوسةَ لأجلهما ، أو تكلّمَ لهما كلاماً خفيّاً متداركاً متكرّراً ، وهي في الأصل : الصّوت الخفيّ ، كالهينمة ، والخشخشة . ومنه وسوسة الحلي]"فكأنّه أراد أنّ ما في صوت السين من الخفاء والهمس قد ساعد على إدراك هذه الوسوسة الخفية المتكررة ، الصادرة من إبليس (لعنه الله) لأبوينا آدم وحوّاء (عليهما السلام.

والهمس هو الصوت الخفيّ, هو من صفات (السين) يتم النطق به من دون فتح الفم .]"وقد ورد صوت (السين) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، جاءت في سياقٍ يتبيّنُ فيه معنى الخفاء أو فيه حديثٌ عن حالات نفسيّة خفيّة ، وفيها همس وهدوء ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً ﴾]"ومن ذلك لفظة (حسيسها) في قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ .]"وقد تعرّض أبو السعودِ إلى هذه اللفظة ، قائلاً:

"الحسيس صوت يحُسُّ ، أيّ لا يسمعون صوتها سمعاً ضعيفاً ، كما هو المعهود عند كون المصوّت بعيداً ، وإن كان صوته في غاية الشدّة ، لا أنّهم يسمعون صوتها الخفيّ في نفسه فقط . [" وكأنّه تنبّه إلى إيحائيّة السين الدالّة على الخفاء ، فأهل الجنّة لا يسمعون ـ بإرادة الله ، عزَّ وعلا ـ من صوت زفير جهنّم شيئاً ، حتّى الحسيس من صوتِها لا يسمعونه، وهو الصوت الخفيُّ الّذي لا يحسُ به ، إنّما هو من خفايا النّفس.وقد أشار ابن جنّي إلى ذلك حين قال : فجعلوا الصاد لقوّتها مع ما يشاهد من الأفعال المعالَجة المتجشَّمة ، وجعلوا السين لضعفِها فيما تعرفه النّفس ، وإنْ لم ترَه العين .]" فصوت السين هنا قد تناسب وطبيعةَ الموقف ، وساعدَ على تجلية المعنى.

ومثلها قول هود عليه السّلام لقومه ،قال سبحانه وتعالى :﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ .]"إنّ من يعبد أصناماً من دون الله

يُعدّ كافراً، والكفر: التغطية والستر. قال ابن منظور:"" كفر الشيء: غطاه وستره .[] "فكأنّ عبادة هذه الأصنام غطّت على القلب بزيادة الكفر فأخفته وسترته.[]".

أخفاه وستره عن رؤية الحقيقة وهي بطلان عبادته وخفاء مشروعيّتها، فالخفاء ناسب الإخفاء.

قوله سبحانه وتعالى :﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .[]"الاخفاء في التنوين بعد فاء في) قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ (،وقيل: (كنتم فقراء فأغناكم[]" (ثم إنّ القلّة في العدد أو المال تجعل الإنسان يتخفّى من الظهور، أو أنّه يكون خافياً عن الأنظار لا يؤبه له، أمّا كثير المال كثير العدد فإنّه لا يكون خافياً بل ظاهراً معروفاً.

(س، ص، ز):

حدَّد الدكتور الحَمَد جهة الثنايا التي تشترك في إنتاج هذه الأصوات؛ إذ استبعد أنْ تكون الثنايا السفلى لها وظيفة في إنتاجها، يقول: ((ولا شكَّ في أنَّ الثنايا السفلى ليس لها دور مباشر في نطق أصوات الصفير، وملامسةُ أسفلِ طرف اللسان لأطراف الثنايا السفلى في أثناء نطقها لا يجعل لها ذلك الدور))[i].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ سيبويه على– عادته – لم يحدد جهة الثنايا، فقال: ((وممَّا بين طرف اللسان وفُوَيْق الثنايا مخرج الزاي، والسين، والصاد)) [ii]، وكان أستاذه الخليل قد قال عن هذه الأصوات: ((والصاد والسين والزاي أسلية؛ لأنَّ مبدأها من أسلة اللسان وهي مُستدَق طرف اللسان))[iii].

(ط، د، ت، ض):

يقول الدكتور الحَمَد عن مخرج هذه الأصوات: ((بين مقدَّم اللسان وأوَّل اللِّثة))[iv]، وقال سيبويه عنها: ((وممَّا بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء))[v].

وواضحٌ أنَّ الدكتور الحَمَد ذكر مقدم اللسان، وليس طرفه، وأوَّل اللِّثة بدلاً من أصول الثنايا، وسيبويه يقصد بأصول الثنايا ما هو معروف عند العلماء المحدثين بمصطلح اللِّثة[vi]؛ لأنَّ اللِّثة مفهومها عند المحدثين أوسع منه عند القدماء[vii].

والاختلاف في المصطلحات هنا لا يشكل خلافاً كبيراً، إلاّ أنَّ نقطة الخلاف بين ما ذكره سيبويه وما قاله الدكتور الحَمَد تكمن في صوت الضاد، الذي اتَّفق على صعوبة نطقه علماءُ العربيةِ من قدماء ومحدثين[viii]، فصوت الضاد لم يذكره سيبويه مع أصوات (ط، د، ت)، بل جعل له مخرجاً مستقلاً لا يشاركه فيه غيرُه من الأصوات، فقال: ((ومن بين أوَّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد))[ix]، وتابعه على هذا الوصف علماء العربية والتجويد[x]، لكنَّ الدكتور الحَمَد لم يرَ وصف سيبويه للضاد منطبقاً على ضادنا الحالية؛ إذ يقول: ((لم يَعُدْ تحديد سيبويه مخرج الضاد بأوَّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس مطابقاً لنطق الضاد في زماننا، ممَّا يستدعي وضع الضاد في مخرج واحد مع الطاء والتاء والدال))[

(ل، ر، ن):

تقدَّم أنَّ هذه الأصوات الثلاثة كانت محل الخلاف في عدد مخارج أصوات العربية، فمَنْ جعلها من مخرج واحد صارت المخارج عنده أربعة عشر، ومن رأى أنَّ كلَّ صوتٍ في مخرج أصبحت لديه عدد المخارج أكثر من أربعة عشر، وقد بيّنا ذلك في موضعه.

وجعل الدكتور الحَمَد هذه الأصوات الثلاثة في مخرج واحد هو((بين مقدم اللسان وآخر اللِّثة))[xi] .

والبحثُ في هذه الأصوات ينبغي له أنْ يكون متّصلاً بعضه ببعض، لكنَّي سأفرد لصوت اللام مساحة؛ والسبب في ذلك أنَّ بعض العلماء قد اعترض على عبارة سيبويه في تحديد مخرج اللام، إلاّ أنَّ الدكتور الحَمَد قد انتصر لسيبويه منه. ولننظر أوَّلاً في قول سيبويه.

يقول سيبويه : ((ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ومافُوَيْق الثَّنايا مخرج النون [وما فُوَيْق الضاحك والناب والرباعية والثَّنية مخرج اللام]))

توطئة:

يُعَدُّ موضوع مخارج الأصوات اللغوية الصامتة من أهم موضوعات علم الأصوات اللغوية، وحظي بعناية كبيرة من لدن علماء العربية لاسيما علماء التجويد ، وحظي بالعناية نفسها عند الدارسين المحدثين، وكان اهتمام علماء التجويد بمخارج الأصوات أكثر من غيرهم؛ إذ خصصوا كتباً مستقلّةً ببحوثهم الصوتية[i]، هي التي تعرف بكتب التجويد وأفردوا لمخارج الأصوات أبواباً خاصّةً بها.

والذي جعل علماء التجويد ينهجون هذا النهج هو ارتباط دراستهم بتجويد القرآن الكريم، ((فتجويد القرآن هو إعطاءُ الحروفِ حقوقَهَا، وترتيبُها مراتِبها، وردُّ الحرفِ من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقُهُ بنظيره وشَكْلِه، وإشباعُ لفظه، وتمكينُ النطق به على حال صيغته وهيئته، من غير إسراف ولاتعسُّف، ولا إفراط ولا تكلف))[ii]، فكان لزاماً عليهم أن يحددوا موقع كُلِّ صوتٍ من أصوات العربية، ويَعْرِفوا مخرج ذلك الصوت، يقول الدّانيّ: ((اعلموا أنَّ قطب التجويد وملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها))[iii].

وحين أراد علماء التجويد تحديد مخرجِ كُلِّ صوتٍ، فكان عليهم أن يعتمدوا على ذائقتهم الصوتية، فاتَّبعوا الخليل بن أحمد الفراهيديّ (175هـ) في ذوقه الأصوات، وذلك بأن ينطق بالصوت ساكناً بعد إدخال همزة الوصل عليه، فحيثما يستقرُّ اللسان فثمّة مخرج الصوت[iv].

يقول الدكتور الحَمَد: ((وعلى الرغم مِنْ تحفُّظِ بعض المحدثين على هذه الطريقة في ذوق الحروف؛ بسبب احتمال التأثر بنطق الصوت السابق[v]، فإنها لا تزال مفيدة في تبيين موضع اعتراض النَّفَس وتحديد مخرج الحرف، حتى تتاح للدارسين وسائل آلية قد تكون أكثر دقة من هذه الطريقة))(vi).

والبحث في مخارج الأصوات المفردة وطبيعتها جعلنا نذكر ثلاث قضايا رئيسة كان للدكتور الحَمَد بحثٌ مستفيضٌ وواضحٌ فيها، هي: حدُّ المخرج، عدد المخارج، مخارج الحروف بالتفصيل.

أولاً- حدُّ المخرج:

المخرج لغةً: ((موضع الخروج. يقال : خَرَجَ مخرجاً حسناً، وهذا مَخْرَجُهُ))[vii]. وفي الاصطلاح؛ فهو: ((النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء والتي يصدر الصوت فيها))[viii].

وحدُّ المخرج عند الدكتور الحَمَد هو: ((النقطة المعينة من آلة النطق التي ينشأ منها الحرف أو يظهر فيها ويتميَّز، نتيجة لتضييق مجرى الهواء أو غلقه ثم إطلاقه))[ix]، ونجد هذا التأكيد في موضع آخر من كتبه كان فيه أكثر وضوحاً

حين قال: ((المخرج: موضع اعتراض النَّفَس في آلة النطق لإنتاج صوتٍ ما؛ لانَّ مخرج (الميم) عند علماء العربية والتجويد من الشفتين، وهو موضع اعتراض النَّفَس، أما موضع خروجه فهو من الخياشيم، وكذلك (النون)))[x].

ويتّفق المحدثون مع علماء العربية والتجويد في أنَّ مخرج (الميم) من الشفتين[xi]، وعليه فإن الدكتور الحَمَد في تعريفه هذا يُميِّزُ بين مخرج الصوت ومجراه، فصوت (النون) يتكون من طريق عارض في الفم، باعتماد طرف اللسان على ما فوق الثنايا (اللثة)، وجري النفس من الخيشوم (الأنف)[xii].

ثانياً- عدد المخارج:

وسأتناول مخارج أصوات العربية على هذا الترتيب التنازلي.

(الباء، والميم، والواو، والفاء) :

سار الدكتور الحَمَد على طريق سيبويه في الفصل بين مخرج الباء والميم والواو، ومخرج الفاء، فللثلاثة الأولى مخرج، ولحرف الفاء مخرج مستقل[xiii].

1. : ب، م، و (غير المديّة):

فمخرجها من بين الشفتين[xiv]، واضحٌ أنَّ الدكتور الحَمَد خصَّ الواو هنا بغير المديّة، وهو مذهب علماء التجويد المتأخرين[xv].

وجعل سيبويه هذه الثلاثة في مخرجٍ واحد، قائلاً: ((وممَّا بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو))[xvi].

أمَّا الخليل؛ فذكر أنَّ ((ف ب م، مخرجها من بين الشفتين خاصة))[xvii]، فسيبويه أخرج الفاء منها، وأدخل بدلاً عنها الواو، وعملُ سيبويه أصوب من عمل الخليل[xviii]، ومَنْ جاء بعد سيبويه من علماء العربية ردَّد عبارته من غير زيادة تُذْكَر[xix] ونصَّ بعض علماء التجويد على أنَّ الواو المذكورة هنا يقصد بها غير المديّة، وهو ما أكَّده الدكتور الحَمَد كما تقدَّم، ومذهبهم هذا مبنيٌّ على إفراد حروف المد بمخرجٍ مستقل هو الجوف، وتخصيصهم الحروف الأُخر بمخارج محددة، من الشفتين في الواو، ومن وسط اللسان في الياء، يقول ابن الجزري: ((المخرج السادس عشر للواو غير المديّة، والباء، والميم ممَّا بين الشفتين))[xx].

أمَّا دارسو الأصوات المحدثون؛ فقد أقرُّوا ما جاء به العلماء القدامى، فالباء، والميم، والواو تنطق عندهم بضم الشفتين[xxi].

أمَّا لقب هذه الأصوات؛ فقد لقَّبها الدكتور الحَمَد بـ(الحروف الشفوية)، فقال: ((الحروف الشفوية: ب، م، و، غير المديّة))[xxii]

وهي تسمية سيبويه نفسها[xxiii]، وتابعه عليها جمهور علماء العربية[xxiv]، واتفق أغلب المحدثين على هذه التسمية[xxv] إلاّ أنَّ قسماً منهم لم يكتفِ بالشفتين وحدهما مخرجاً للواو – كما وصفها سيبويه – ، إذ أوضحوا أنَّ الواو يجب أن تكون من أقصى الحنك؛ لأنَّ أقصى اللسان يقترب من أقصى الحنك عند النطق بالواو، فتوصف بأنَّها شفوية حنكية قصية[xxvi].

ممَّا تقدَّم يظهر أنَّ الدكتور الحَمَد قد اتَّفق اتفاقاً تامَّاً مع سيبويه في مخرج هذه الأصوات، وفي تلقيبها بالشفوية أيضاً على الرغم من تحفظ بعض المحدثين على هذا اللقب بزيادة وصف آخر له لوجود الواو، ولكن يبدو أنَّ الدكتور الحَمَد يضم صوته إلى صوت الدكتور كمال بشر الذي نادى بأنَّ وصف سيبويه للواو ليس خطأ؛ لأنَّ للشفتين دوراً كبيراً في نطقه[xxvii] ، وزاد الدكتور حسام النعيمي هذا الأمر دقةً ووضوحاً، إذ بيَّن أنَّ سبب تسمية القدماء لهذه الأصوات بالشفوية هو وضوح استدارة الشفتين مع الواو، وعدم اقتراب اللسان من الحنك بصورة واضحة[xxviii]، فضلاً عن أنَّ العلماء العرب غالباً ما يشيرون إلى الموضع الأظهر والأوضح وهم يبينون مخارج الأصوات[xxix]، فجاءت تسميتهم لهذه الأصوات بالشفوية.

2. : **(الفاء):**

اتفق الدكتور الحَمَد مع سيبويه في مخرج هذا الصوت[xxx]، يقول سيبويه عنه: ((من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُلى مخرج الفاء))[xxxi]، ولم تتغيَّر هذه العبارة عند علماء العربية[xxxii]، ولا علماء التجويد[xxxiii]، ولا المحدثين من دارسي الأصوات[xxxiv].

أمَّا لقبُ هذه الأصوات؛ فلقَّبها الدكتور الحَمَد بأنَّها أسنانية شفوية، بقوله: ((الأحرف الأسنانية الشفوية: ف))[xxxv]، وهذا التسمية هي نفسها عند سيبويه؛ لأنَّ سيبويه قد ذكر أقسام الأسنان، ومنها: الأضراس، والثنايا، والضاحك، والناب، والرباعية[xxxvi]، والثنايا مفردها ثنية، وهي السن، وثنايا الإنسان في فمِهِ أربع: ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل[xxxvii]، وتقسيم سيبويه للأسنان أشاد به المستشرق الألماني(شاده) قائلاً: ((نشاهد غاية التفصيل مثلاً في تقسيمه للأسنان))[xxxviii].

فأطراف الثنايا العليا هي الأسنان العليا، يقول الدكتور أحمد مختار عمر عن إنتاج صوت الفاء بأنَّه: ((يتم إنتاجه عن طريق ملامسة الشفة السفلى للأسنان العليا))[xxxix]، ولقبُ الشفوي الأسناني عليه أكثر المحدثين[xl]

(ظ، ذ، ث):

حدد الدكتور الحَمَد مخرج هذه الأصوات بقوله: ((فالمخرج بين طرف اللسان وبين أطراف الثنيَّتين العُلْيَين، ويستند طرف اللسان في الوقت نفسه على أطراف الثنيَّتين السفليين))[xli].

وبيّنٌ من كلامه أنَّ للثنايا العليا والسفلى وظيفة في إنتاج هذه الأصوات.

وكان سيبويه قد ذكر مخرج هذه الأصوات، فقال: ((وممّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء، والذال، والثاء))[xlii].

ووقف علماء العربية القدامى إزاء قول سيبويه هذا، وتحديد جهة الثنايا المقصودة بقوله مواقف متعددة، فحافظ قسمٌ منهم على عبارة سيبويه من دون تخصيص جهة الثنايا[xliii]، وراح بعضهم إلى تحديدها بالثنايا العليا، وهو مذهب المبرِّد، إذ يقول: ((ومن طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا مخرج الظاء، والثاء، والذال))[xliv] وتابعه أكثر علماء التجويد على هذا التحديد[xlv]، وذهب ابن الطحَان إلى ذكر الثنايا العليا والسفلى معاً، فقال: ((ومن طرفه، وما يليه من أطراف الثنايا، عُلياها وسُفلاها، تخرج الظاء، والذال، والثاء

(ج ، ش، ي، (غير المدية)).

أثارت قضيةُ ترتيبِ هذه الأصوات وتحديدِ أيَّهما قبل الآخر في المخرج الواحد فِكْرَ الدكتور الحَمَد، فرأى بنظره الثاقب وبذكائه الحادِّ أنَّ هذه الأصوات تحتمل الترتيب في ما بينها، عن طريق سلوك هذه الأصوات عند مجاورة غيرها، إذ يقول: ((وقد يساعد في تحقيق مسألة ترتيب حروف هذا المخرج النظر في سلوكها عند مجاورة غيرها، والمعروف أنَّ لام التعريف تُدْغَم في ما قَرُب منها من الأصوات دون ما بَعُد عنها، ويتّفق أهل الأداء على إدغام الشين في اللام، وإظهارها عند الجيم والياء، وهذا يدل على قرب الشين من اللام، وبُعْدِها عن الكاف، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار ما يغلب على ألسنة كثير من الناس إدغام اللام في الجيم – خطأ – دون الياء، أمكننا ترتيب حروف هذا المخرج على هذا النحو (الياء، ثم الجيم، ثم الشين)، فتكون الياء ممّا يلي الكاف، تليها الجيم، ثم الشين، والله تعالى أعلم))[i].

(ق ، ك):

لقد جمعتُ الحديث فيهما، وإن كان الدكتور الحَمَد قد ذكر بأنَّ لكلِّ صوتٍ منهما مخرجاً على حدة؛ إذ يقول عن مخرج الكاف بأنَّه: ((بين أقصى اللسان والطبق (أقصى الحنك)))[ii].

وعن مخرج القاف بأنَّه: ((بين أقصى اللسان واللهاة (آخر الحنك)))[iii].

فهو متابعٌ سيبويه في تحديد مخرج هذين الصوتين، قال سيبويه: ((ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف))[iv].

مخرج الهمزة والهاء:

يقول الدكتور الحَمَد واصفاً ومحدداً مخرج الهمزة: ((بأنَّه (حنجري سفلي) بناءً على وصف الوترين اللذين تصدر عنهما الهمزة بالوترين السفليين، تمييزاً لهما عن الوترين العلويين اللذين كانا يوصفان بالكاذبين،وأقترحت تسميتهما بالعلويين))[

يقول سيبويه وهو يتحدث عن مخارج الحلق جاعلاً لأقصاه ثلاثة أصوات: الهمزة والهاء والألف: ((فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف))[v]، ولا يهمّنا الحديث هنا عن سبب إدراج الألف مع أصوات أقصىالحلق، وقد بحث في هذا الموضوع غيرُ واحدٍ من القدماء والمحدثين[vi].

مخرج الحاء والعين:

حدد الدكتور الحَمَد مخرج هذين الصوتين، فهما يخرجان من بين الوترين الصوتيين العلويين حين يتقاربان، إذْ يقول: ((وترجح عندي أنَّ مخرج الصوتين هو من بين الوترين الصوتيين العلويين، وذلك بتقاربهما إلى درجة تسمح للهواء بالنفوذ من خلالهما، فيحدث احتكاك مسموع يتشكَّل منه الصوتان، والحاء مهموس، والعين مجهور، ويمكن وصفهما بناءً على هذا النحو: الحاء صوت حنجري علوي رخو(احتكاكي) مهموس، والعين صوت حنجري علوي، رخو(احتكاكي) مجهور))[vii].

ومخرج الحاء والعين من مخرج الهاء، إلاّ أنَّ الفرق بينهما: ((إنَّ الهاء تخرج بتباعد الوترين العلويين والحاء والعين بتقاربهما))[viii].

ووصفُ القدماءِ هذين الصوتين هو من وسط الحلق، يقول سيبويه: ((ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء))[ix].

مخرج الخاء والغين:

حدد الدكتور الحَمَد مخرج الخاء والغين، بقوله: ((إنَّ الخاء والغين ينطقان باقتراب لسان المزمار (أي: الغلصمة) من حافتي فتحة الوترين العلويين وهو يقتضي تراجع أقصى اللسان نحو الخلف، ويؤدّي ذلك إلى سماع الحفيف الذي يتشكل منه صوت الخاء والغين، والخاء مهموس، والغين مجهور، ويمرُّ النفس بعد ذلك من فوق أقصى اللسان، بينه وبين أقصى الحنك، واللهاة مسترخية في طريق النَفَس مائلة إلى الأمام))[x].

وذهب سيبويه إلى أنَّ صوتي الخاء والغين من أدنى أصوات الحلق الى الفم، فقال:

((وأدناها مخرجاً من الفم: الغين والخاء))[xi].